مقدمة

لمار يعقوب السروجى
هلموا أيها التائبون

يقول أبينا القديس :

«محبوب هو خبر اللص من كل الأخبار وبالأكثر علي الخطاة مثلي، تقدموا أيها التائبون، اسمعوا التشجيع المولد للحياة، تشبهوا بي أيها الفقراء أصحابي.. هلموا نعزي قلوبنا بالخبر الغني...

هكذا الخاطي يشتهي أن يسمع فقط علي الغفران الذي يفرحه، لأنه إذا تكلمنا بالبر أحني الخاطئ رأسه ولكن أن تكلم أحد بالغفران أستيقظ الذليل... ومن هو مثلي ابتلي بالآثام يفرح بخبر اللص لأنه قول ممتلئ رجاء للأشرار والخطاة... هو صوت يوقظ النفس الضعيفة للتوبة، إذ يعطي قوة لحركة الرجل التي أذلتها الذنوب، وهو منظر هادئ يحيي الأصول المائتة ويكثر غلات الأرض التي عرفت الأثمار هو ظل شهي ترطب بها الزراعات اليابسة، هو باب مفتوح لم يغلقه إلا الموت.

إنه حسن قولي هذا لهؤلاء الذين عملوا ساعة واحدة وخبري شهي للمحتاجين للغفران. إنه في الوقت الذي هرب فيه الرسل، قام اللص يعترف بالابن بغير انقسام، هرب توما، وكفر سمعان والتلميذ الذي يحبه قام بالبعد وسكت كغريب في وقت الآلام، واللص نطق بصوت الاعتراف. لم تحركه ضجة الجنود ولا اضطراب الشعب ولاتهديد الجاحدين، لم تقع في أذنيه أصوات اضطراب المجدفين ولا وساوس المستهزئين.. إنه فلاح

مجتهد وعمال شديد، مسرع ليكمل بشهامة في وقت صغير ما لم يعمله غيره طول العمر...

أيها اللص النشيط الذي فلح في ساعة واحدة عمل سنين كثيرة!! قل لي أيها الرجل! من أظهر لك ملكوت السموات؟! أين نظرته لتسأل ابن الله وقت إسلامه الروح؟

أنت لصاً فلماذا تكرز بالملكوت؟ ومن أعلمك هذا؟؟

هل سمعت منه حين كلم بيلاطس أن مملكته ليست من هذا العالم؟!

هل بهذه الكلمات اشتعلت نفسك بنار الحب، وازداد الإيمان في قلبك! وحينما شق رئيس الكهنة ثيابه وصرخ في وجه السيد أنت استترت بالإيمان...!

فسمع السيد وأعطي اللص الإكليل وأخذه معه إلي ملكوته.. قل لي أنا أيضاً ياسيدي لأني صرت فما لصوت اعترافك فإذكرني ياربي إذا جئت في ملكوتك لأسبح لمجدك إلي مدي الدهر وعلينا رحمتك. آمين».

وأني أقدم هذا الكتيب الصغير، سيرة دافعة لحياة التوبة لعل البعض ينتفع بها، أو لعلها تكون سبب رحمة لنا حتي كما ذكر الرب اللص اليمين يذكرنا جميعاً في ملكوته السماوي الأبدي.

ببركة صلوات أبينا أب الآباء رئيس الأساقفة بطريركنا الأنبا شنوده الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية مطرانا الجليل الأنبا بيشوي ولإلهنا المجد دائماً أبدياً أمين،

القمص
بيشوي عبد المسيح

الفصل الأول
بدء حياته

«أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً،
مضطهداً ومفترياً، ولكننى رحمت»
(١ تى ١ : ١٣)

❖ ❖ ❖

«خطايا صباى وجهالاتى يارب
لاتذكرها، كرحمتك أذكرنى»
(مز ٢٥ : ٧)

ابن لوالدين بارين

ولد ديماس في مدينة عسقلان(١) من أب يدعي أقلونيوس وأم اسمها ثيؤدورا من أرض كنعان. وكان أبواه يخافان الله وكانا غنيين جداً. وقد ولد ديماس توأماً لأخت تدعي أوذوكسية لانعرف عنها شيئاً(٢). ولكن نعرف أن أبواهماربياهما في خوف الله وأوصياهما كثيراً قبل موتهما أن يثبتا علي الإيمان بالله، فنشأ ديماس كما ينشأ كل يهودي علي الولاء الكامل لأمته ووطنه ودينه.

لكن الظروف السياسية كان لها جانباً كبيراً من التأثير علي حياته...

إنفساد حياته

لم يمضي وقت طويل حتي مات الأبوان ودفنا بإكرام جزيل حتي أن أبناهما صنعا صدقات كثيرة لعدة أيام... واستمرا عدة سنين يجاهدان حتي يكملا وصية أبيهما، ولسنا نعلم ما هي العوامل التي تدخلت لتغيير مجري حياتهما، غير أن إبليس حسدهما ودبر عدو كل بر طريقا لاصطيادهما وإهلاكهما. فما أن

(١) مدينة عسقلان من أقدم مدن العالم وبها هيكل إله الجمال عند الإغريق وكانت موطناً لهيرودس الكبير لكنها خربت بالتمام سنة ١٢٤٧ وخربها السلطان بيربس، وتقع المدينة علي ساحل فلسطين جنوباً. وكانت لها شهرة واسعة إبان

تبددت ثروتهما حتي ملأ الشيطان أفكار ديماس بمشورات ففكر في طرق خاطئة لجلب الثراء- وهيأ إبليس له صديقاً رديئاً يصحبه في طريق الشر واسمه يسطاس، فاتفقا معاً علي أن يسلكا طريق الخطية.

بيئة مهيأة للشر

لعله من اللازم أن نذكر أنه لم يكن ديماس لصاً عادياً لكنه كان- علي ما نعلم من تاريخ تلك الفترة في تاريخ اليهودية- مواطناً متعصباً لوطنه وكارهاً للاحتلال الأجنبي(١). وقد انضم إلي خلايا سرية قامت بما نسميه حرب العصابات، وقام ديماس فعلاً بنصيبه في هذا العمل الذي قاومه رؤساء اليهود ظاهرياً ولكنهم أيدوه باطنياً.

وقد اعتبرته الهيئة الحاكمة عاصياً وخائناً خارجاً عن القانون لذلك إستحلت دمه. فأضطر مع زملائه أن يقطعوا الطريق ويفرضوا الأتاوات كما دفعتهم الظروف إلي أن يقتلوا البعض من الرومان أصلاً ومن المتعاونين معهم من اليهود. ومع أن رسالتهم كانت وطنية إلا أن الكثيرين أبغضوهم لأنهم تسببوا في وجود حالة من الاضطراب والشغب هذا إذا أغفلنا المضايقات المالية من فرض الغرامات والأتاوات.

١- الحروب الصليبية.

تحولهما إلى غابات مصر

كانت غـابات أورشليم في ذلك الزمان مرتعـاً للصوص اللذين كانوا يتعـرضون للمسافـرين، فمنها كانت القـوافل تسير ويمروا بها التـجار، وقد كان الرجل الذي وقع بين اللصـوص أحد هؤلاء (لو ١٠ : ٣٠).

اتخذ ديماس وصديقه من هذه البرية مسرحاً لتنفيذ أغراضـهما السيئة ثم قررا أن يتناوبا كل منهما السرقات ليلاً ونهاراً.

ولما فرغت براري الأردن مـن الغنائم الكثيرة قـررا أن يتجـها إلي مصـر مسقط رأس يسطاس. فاتخـذا من الصحراء الشرقـية مقراً لهما(١). وأقاما بجانب تل بسطا. وقـد اتفقا اللصان علي أن ينال كل منهمـا نصيبـه في نوبته من السرقـة وتصادف في يوم من الأيام، بينمـا كـان يسطاس في نوبتـه وقت الظهـيرة، مـرور العائلة المقدسة– وكانوا هاربين من وجه هيرودس الملك الذي كان يريد قتل الصبي يسـوع. فلم يدع يسطاس هذه الغنيمة تفلت من يده خاصـة وأنه كان يعلم عن الذهب الذي تلقتـه هذه العائلة من حكماء المشرق.

ديماس يحمى الطفل يسوع

(٢) عن مخطوطة رقم ٢٩٨ بالمتحف القبطي.

ويذكر مـيناردوس أيضاً أن وقـت عبور العـائلة المقدسـة بتل بسطا قابلت هذان اللصان فقـال يسطاس لزميله أتمني لو سرقت ملابس هذه المرأة وابنها فإن لها بريق يشبه ملابس الملوك(١). لو كنت قـابلتـهم في أي مـكان آخـر غيـر هـذا المكان لما ترددت في الاستيلاء عليها...

فقـال له زميله : فلنسـر في طريقنا ودعهم وشـأنهم، لأني ما رأيت في حـياتي مثل هـذا الطفل العجـيب، فلربما يكون ابن ملك ويدبر القدر أن نقع في يديـه فيما بعـد في المستقـبل...! فأنزعج اللص الآخر من كلامه بعض الوقـت لكنه ندم أخيراً أن جعل هذه الغنيـمـة تفلت من يـده، ويذكـر ميـناردوس أن اللص تقـابل مع العـائلة بعـد ذلك بمدة من الزمن وكـانت العـائلة قـد وصلت إلي مدينة مير بالصعيد، وقـبلما يصلوا إلي الجبل كان المساء قد حل. وهناك تقـابل معـهم يسطاس. وإذ رأي أن المكان قـفر هاجـمهـا بالخناجر والسيوف وكان وجهه مقنعاً.

ثم أسـرع وأنزل السيـدة العذراء عن الدابة ثم اخـتطف الطفل يسوع من بين يديهـا وهم بنزع ثيابه، أما سـالومي التي شاهدت ما حدث فألقت ما عندها طوعاً قبلما يقربها.

(١) كتاب نساء ورجال للدكتور القس لبيب مشرقي.

ثم حـمل كل شئ وقـبلمـا يخطر أي فكر اضطراب بالنسـبـة للسيدة العذراء كان ديماس اللص قد وصل إلي الموقع فجاء ونظر إلي الطفل وإذ به يرتد مـبهـوراً لأن نورا سـماوياً كـان يشع من وجهه. إنه ليس طفلاً عادياً، إنه أكثر من إنسان بل أكثر من ملاك! لابد أن يكون ابن الله! فـأمر ديماس رجـاله أن يمتنعـوا عن سلب هذه العائلة المقدسة(١).

السيدة العذراء تشفع فى ديماس

وأصطحب ديماس ورجاله العائلة المقدسة لا كلص بل كحارس ليرافقها حتي تصل إلي الأمان بعـدما رد إليها كل ما سلبه زميله وسار بهم حـتي أخرجهم بعيـداً عن الجبل إلي الطريق المزمع أن يسيروا فيه إلي الصعيد.

ولما رأت السيدة العذراء عـظم الصنيع الذي عمله هذا اللص وقلبه الذي لايخلو من الرحمة طلبت إلي ابنها الحبيب أن يصنع رحمة معه. فمد يسوع أصبعه نحو هذا اللص كأنه يستجيب لرغبتها.

عدالة ونهاية

ظل ديماس وصـديقه يزاولان أعـمال الـسرقـة والقتل زمـاناً طويلاً ويبدو أنـهما أنضـما إلي جمـاعة أخري تزعـمت الفتن في

(١) كتاب زيارة العائلة المقدسة لمصر دكتور أوتو ميناردوس.

أرض اليهودية وكان زعيمهما باراباس اللص[١] المشهور وقد ذكر هذه الجماعة البشيرون حين قالوا عن باراباس «أنه طرح في السجن لأجل فتنة حدثت في المدينة وقتل» (لو ٢٣ : ١٩).

ومرت السنون المجهولة حاملة في طياتها كثيراً من الأحداث التي أغفلها الكتاب المقدس ولكنها كانت ذات أثر خاص في وصول ديماس إلي الصليب، حيث قامت الحكومة الرومانية بمحاصرة العصابات في أوكارها وقد أقيمت مجازر ذبح فيها كثيرون من الثائرين ذبح الأغنام، وكان بعض الولاة الرومان أقسي من البعض الآخر ولكنهم اتفقوا جميعاً أن يكونوا قساة علي أصحاب الفتن.

وفي أحد الأيام قبض جنود الرومان علي باراباس زعيم العصابات وعلي اثنين من مساعديه هما ديماس ورفيقه وحكم بيلاطس أخيراً بإعدام الثلاثة صلباً.

وقد عرفنا قصة العفو عن باراباس إذ حل يسوع الناصري ملك اليهود محله وهكذا وصلب اللصان ديماس وزميله مع السيد المسيح واحد عن يمينه والآخر عن يساره (لو ٢٣ : ٢٢).

اللص الذى قبلت توبته

لما كان رؤساء الكهنة والجند يستهزأون بالمخلص اشترك أيضاً اللصان معهما في التعيير طمعاً في رضي اليهود عليهما....

(١) نلاحظ أن يسطاس يحاول أن يموه علي زميله لأجل الذهب الذي كانت تمتلكه

نتطلع إلي ديماس حالماً عـلق علي الصليب فنقف في مواجهـته لنراه مربوطاً إلي الصليـب وقد سمرت يداه ورجـلاه وها هو قد أسود وجهه وسـال عرقه غزيراً وقد بدا كوحش حـاصره الرماة مـن كـل جهـة وهـا هو يرسل أنفاسه المتلاحقة الملتهبة من حلق جف كشـقفة مـحترقة وكـان يرسل أنات مرعبـة. وكان في أول أمـره يعيـر يسـوع قائلاً «لماذا لا تخلص نفسك وأيانا» (مر ١٥ : ٣٢) وربما لم يكن يقـصد أنكار قـدرته بل كان يتعـجب لماذا لم يستخدم سلطانه في الانتقام من صالبيه وليس هذا التفكير غريباً عن لص! إذ سبقه بطرس التلمـيذ قائلاً «حاشاك يارب لايكون لك هذا» (مـتي ١٦ : ٢٢)، أي أنـه تعـجب كـيف وأنـه وهو صـانع المعجزات والعجائب يتألم بنفس الطريقة التي يتألم بها هو! فكأنه قال للـسيد (لماذا تتـركهم يسـيئـون إليك بهذه الطريقـة.. خلص نفسك وإيانا».

وظل هكذا حـتي الساعـة السادسة حـيث حدثت ظلمـة غطت الأرض كلهـا وتزلزلت الصـخـور وأظلمت الشـمس... فـاندهش ديماس لما حـدث وفي الوقت نفـسـه نظر إلي الرب المخلص فـرآه ينظر إليه نظرة حب.

لقـد نظر الله، وعلـم كل شئ وعـرف مـا بداخل قلب ديماس. وكتب ذلك في سفر تذكرة ما عمله ديماس اللص...

العائلة المقدسة.

الفصل الثانى

مع المسيح صلبت

(لقاء مع المخلص)

ديماس

«إن أية خدمة تقدمها ليسوع لاتبقى فى طى النسيان، بل سوف تنال عنها بالتأكيد نصيباً من الذكر والعرفان»

❖ ❖ ❖

«لقد وضع يسوع وسط اللصان، وهو أصدق منظر عن العالم، لأن الرب وضع لقيام وسقوط كثيرين فكان للبعض رائحة حياة لحياة وللآخرين رائحة موت لموت»

تأمل

هناك على الصليب...

صورتان للإنسانية، تمثل كل منهما وجهاً منها،

صورتان للعالم تتجاذبانه وتشطرانه شطران.

قوتان، قوة الخير وقوة الشر، إمكانية النعم، وإمكانية البلاء، إمكانية قبول النعمة وإمكانية رفضها.

فئتان في العالم، فئة تفهم قيمة الحياة، وفئة تعبث بها، فئة تفهم قيمة الألم وتحوله إلي ينبوع خلاص للنفس، وفئة تستنكره ولاتستفيد منه شيئاً.

هناك عند أقدام المخلص المصلوب وعلي مقربة من هذين اللصين ينبغي للمرء أن يتأمل في السماء وفي جهنم.

قال مار يعقوب السروجي: لأنه الديان اختار أن يعلق علي الجلجثة ليقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره.

قال القديس كيرلس الكبير : حقد اليهود الأشرار جعلهم يؤكدون عار موت المسيح مخلصنا، وذلك بأن يصلبوا مع البار الأثمة والمخالفين الحقيقيين لكننا رأينا في المجرمين اللذين صلبا علي جانبي المسيح رمزاً للشعبين اللذين سيتصلان به، أي اليهود والأمم، لأن اليهود حكم عليهم الناموس أنهم مذنبين بتعدي الوصية والأمم كانوا مذنبين بالوثنية لأنهم عبدوا المخلوق دون

الخالق.

ديماس عن يمين [١] المخلص

قد رافق ديماس يسوع علي الصليب، ونعجب أن شريكي يسوع علي الصليب كانا من قطاع الطرق المتمردين! لقد أبغض العالم اللصان وجعلهما يحقدان بالأكثر علي الساكنين فيه فتدربا علي الغدر والحقد وجرت أرجلهما إلي سفك الدم والشهوة إلي أن وقعا أخيراً في قبضة العدالة فطرحا في السجن، وفيما كانا من وراء قضبان السجن المرير يفتكران في بصيص من الأمل لأن الوالي كان له عادة كل عيد أن يطلق أسيراً واحداً، من أرادوه ولكن قطع هذا الأمل حين طلب الشعب إطلاق باراباس، وهكذا حكم علي ديماس ورفيقه بالصلب عبرة للعتيدين أن يفجروا، ولكن ربما كان خيراً لهما أن يدانا الآن حسب الجسد لعله تكون لهما فرصة للخلاص، وكان بالفعل تدبير الله لهما حسناً إذ وقعت قرعتهما أن يصلبا مع السيد المسيح الإله المتألم لأجلنا. وأنني متحير من اختيار يسوع لرفيقيه في هذه الفترة!

حيث أنه اختلط بكل أنواع البشر من أخيار وأشرار ليعطي كل واحد فرصة الخلاص. وإن كان المجتمع الإنساني قد لفظ هذين اللصين من وسطه لكن السماء شاءت أن يكون لقائهما الأخير مع

(١) لم يذكر الكتاب المقدس أن اسم اللص اليمين ديماس، ولا أنه صلب عن يمين

السيد المسيح، حيث أعطيت فرصة لنفسيهما الجريحة الخاطئة أن تجد قلباً مفتوحاً علي مصراعيه بعدما أغلقت كل القلوب والوسائل البشرية دونهما.

فهل ياتري استفاد ديماس وصديقه من هذه الفرصة؟!

يسطاس عن يسار المخلص

لقد التقي اللص اليسار بالمسيح المخلص علي الصليب لكنه لم يستفد شيئاً ولم يخلص، كان يفكر في خلاص جسده لا في نفسه لذلك هلك، كان يقول للسيد «إن كنت ابن الله خلص نفسك وإيانا» (لو ٢٣ : ٣٩) شأنه في ذلك شأن كثيرين عند موتهم، عوض أن ينتبهوا لخلاص نفوسهم يهتمون بالأكثر بأمر الشفاء الجسدي ويتركون نفوسهم تهلك بالخطية، ونري أن اللص الأيسر نسب كل آلامه إلي عدم قدرة السيد المسيح علي خلاصه، فلم يري أن شروره هي التي سببت له الموت، ولم يتب، وياليت الذين يعاقبون علي خطاياهم يذكرونها ليندموا عليها لا ليتذمروا علي الرب، لأنه سمح بعقابهم!

ياللأسف، فقد التقي اللص المذنب مع السيد المخلص لكنه لم يخلص بل اتخذ من العلة التي كتبت فوق صليب المسيح فرصة جعلته يتسلي بلذة وفكاهة ظناً أنها تهون عليه آلام الموت، لقد جاز في الحديد ولم يلن! وفي أتون النار ولم يذب قلبه، كان علي

السيد، بل ذكر ذلك التقليد الكنسي.

قيد شبر من المخلص ومات مجدفاً. هذا الرجل مات في خطاياه.

ديماس ينجذب نحو المخلص

رغم أن اليهود وضعوا السيد بين لصين كأنهم دونه جرماً وذنباً إلا أن منظر اللصين علي جانبيه لم تقو علي سلب مجده السماوي الذي لم يفارقه البتة إذ كانت النعمة الإلهية حالة بتمامها فيه، يراها كل من له عيون الروح. ففتح ديماس عيناه وأبصر السيد الملك علي الصليب كحمل لايفتح فاه أمام صالبيه، وياللقوة العظيمة حين رفع عينيه نحو السماء قائلاً: «ياأبتاه أغفر لهم»...

وكان رغم سكونه تشع منه هالة نورانية أبلغ من أية كلمات رآها اللص اليمين فكف عن التعيير فجأة... وظل فترة من الوقت صامتاً يتأمل كأنه يري أشياء فوق مقدور الإنسان اللحمي أن يراها وربما ركز كل كيانه في ذلك المصلوب، فلم يعد يبصر شيئاً آخر سواه فتجسم العالم المحيط به كله صليباً، رأي السيد معلقاً عليه فلم يعد يره مذنباً، بل رآه سيداً ورباً، ثم رأيناه وقد جذب كل أنفاسه وهتف في ضراعة نحو السيد من عمق قلبه «اذكرني يارب متي جئت في ملكوتك». ولاشك أن كثيرين في ذلك الوقت قد سخروا من ديماس وقالوا: مسكين ديماس أنه فقد الإدراك... أنه يخرف ولكنهم انذهلوا حين سمعوا الرب يجيبه قائلاً : «الحق

أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس».

لقد كان اللص أول إنسان خاطبه الرب علي الصليب كاستجابة لصلاته لأنه سر به.

قال قداسة البابا شنوده الثالث : «لابد أن شيئاً ما أثر علي عواطف ذلك اللص اليمين جعله يظهر مثل هذه الإحساسات الرقيقة، فقد تأثر تأثراً بليغاً حين التقي بالسيد المسيح علي الصليب فتغيرت حياته وتحول من مستهزئ إلي رجل صلاة وإيمان، ومن معير إلي مدافع، إن تواضع المخلص المصلوب قد أخذت بمجامع قلبه.. وأنارت ذهنه وغيرت حاله، فتأثر من ملامح السيد ومن نظراته ومن حنانه وعمق صوته، ألعل الرب نظر إليه فأذاب قلبه، ولطف الله غلب قسوته، ومغفرته لصالبيه أثرت علي قلبه القاسي (لأن الذي يغفر لمن يقتلونه لايكون قد أتي ذنباً يستحق عليه الموت).

ظل السيدة العذراء

هناك قصة حفظتها لنا التقاليد الكنسية تقول : إن ديماس اللص وهو معلق علي الصليب وقع عليه ظل السيدة العذراء، وكانت العذراء المباركة تستند علي صليب إبنها، وإذاك جاء ظلها علي صليب اللص فترك الظل أعمق الأثر عليه. وإن كان ظل

بطرس الرسول حين كان يعبر علي المـرضي يشفيهم، فليس بدعا أن يشفي ظل العذراء مرضي الروح(١).

ديماس يمتلئ محبة للمخلص

انسكبت محبة السيد في قـلب ديماس وانجذب بقلبه إليه وكما قال قداسة البابا المعظم شنوده الثالث : «إن لسان حال اللص قال للسيد أنا معتز بصحبـتك، ليتني عرفتك من قبل، فتحول الصليب الذي للعـار إلي صليب للمجـد» وهذا حق لأنه لايوجد تدبيـر في العالم إلا ويستخدم لمجد الله مهما كانت علته وأسبابه.

لقد رأي اللص المخلص وهو في حـالة اتضاعه واخـلائه لمجده وآمن به، فهل لنا نحن أن رأينا السيد في هيئة متضعة مثل اللص فننال به مغـفرة الخطايا لنستحق أن نسمـع صوته المحيي؟ وهل لنا أن نؤمن به حـين نراه علي المذبح المقـدس علي هيـئـة خـبـز وخمر؟

التقى بالمسيح وليس بشبهه

كـشفـت قصـة اللص اليـمين علي الصليب كـذب وادعـاء من يقولون أن المصلوب ليس هو المسيح، وإنما شبه به.

لقد وضـع السيـد نفسه بدلاً عن اللص، وقال لمن خـرجوا عليه ليمـسكوه «كأنه علي لص خرجتـم لتمسكوني بسيـوف وعصـي»

(١) نلاحظ أن الصلبان الثلاثة لم تكن مرتفعة عن الأرض كثيراً.

(متي ٢٦ : ٢٥).

فكيف لم يصلب؟ ثم ماذا لو كان الله ألقي شبه المسيح علي آخر مثل يهوذا الاسخريوطي كما يدعون فصلب، وكيف قال له اللص اذكرني يارب؟ إنه يكون قد خدع! وكيف يجيبه بكل قوة وسلطان قائلاً : «اليوم تكون معي في الفردوس»!؟

❖ ❖ ❖

لقد كان لهذا اللص استعداداً داخلياً للتوبة فكان أرضاً صالحة، لم تجد من يفلحها بعد وينقيها من أشواكها، ويبذر فيها البذار الصالحة، لتنبت حسناً، واستطاع مع ذلك أن يكون له نصيباً مع أصحاب الساعة الحادية عشر، أو قل الثانية عشر كما سنري.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث

توبة ديماس وتحولــه

«إن كــان اللص الأيســر قــد مــات فى خطاياه، فإن اللص الأيمن قد مات مع المسيح عن خطاياه»

❖ ❖ ❖

«تغيــر فجأة قبل مــوته ودخل الإيمان قلبــه فــأنقلب من مــعيــر إلى مــدافع ومــن مــستــهزئ إلى رجل صلاة وإيمان»

❖ ❖ ❖

«لكن أنت ياالله الرحــوم أحسبنى مع أصـحــاب الســاعــة الحــادية عــشــر»

اللص التائب!

حقـاً أنه لجدير بالذكـر أن هذا المجرم التـائب يلج ملكوت الله بهذه الجرأة! إنهـا التوبة التي جعلته يقف من نفـسه ومن يسوع هذا الموقف العـجيب! ولقـد كوفئ خـير مكافـأة إذ أجابه يـسوع قائلاً: «اليوم تكون معي في الفردوس».

هذه ثمـرة ناضجـة، جادت بهـا شجـرة الصليب المرة. لكنهـا مـرارة ما أحـلاها فهـي ثمرة التـوبة التي تجلت في كلمـات هذا اللص، لقـد برهن علي أنه كـان أفـضل من بطـرس الذي جلس صامتاً في مـجلس المستهزئين، وأما اللص فانتـهر زميله المجدف، وكان أفضل من بيلاطس الذي شـهـد لبر المسيح ثم جلده وأسلمه ليصلب. إن إيمان هذا اللص معجزة من معجزات النعمة لأنه لم ير بر المسيـح في عز قوته بل شـاهده وهو في أضعف حـالاته علي الصليب لكنـه آمن أن المسـيح وهو علي الصليب كـان أقـوي من أعظم ملك جـالس علي العـرش وبهـذا برهن علي أنه أفـضل من رؤساء الكهنة الذين اصطدموا بصليب المسيح فعثروا.

❖ ❖ ❖

اللص ساعة التوبة

خلال فتـرة الصمت التي كان فيها اللص، عـبرت أمام ناظريه صفحـة من حياته الماضـية المظلمة، حيـاة بلا رجاء وبلا إله وبلا سلام، ومـضت سريعاً كالسـراب. وإذ كانت حيـاته مضت باطلاً تركته إنساناً فاقد الحس والشعـور ولكن يبدو أن بقية من ضمير طال سبـاته قد إستـيقظ في سـاعاته الأخيـرة بينما كـان يعاني سكرات الموت وازاء تلك الكلمـات القوية المؤثرة التي خـرجت من فم المصلوب العجـيب جعلت ديماس يتكلم بلغة التـوبة والاعتراف الحسن فأدرك وهو علي أبواب الأبدية مخافة الرب وأقر أنه بعدل نال استـحقاق مـا فعل مع كونه لم يهـتم طيلة حيـاته أن يعرف حرفاً واحداً من الناموس لكنه أدرك أخيراً أن الدينونة عادلة.

كـان خلاص ديماس في تلك اللحظـة أقرب من ظله وقـد تلفت إلي يساره ليـري مشـهـداً حاسمـاً في حيـاته.. رأي الدم والعرق والآلام والشوك والجـراحات، رأي المحـبة والغفـران والمسامـحة والعدل والسلام، هذه كلها مجتمـعة معاً في شخص المسيح ومن خلال هذه جميعاً اكتشف مخلص حياته فدخلت النعمة الغنية إلي أعماق قلبه الكسير، فصاح صـيحة رددتها خلفه الأجيال (أذكرني يارب متي جئت في ملكوتك).

ليـتك أيها القـارئ العـزيز تسلك طريق هذا اللص التـائب في سـاعاته الأخـيرة... هي نظرة واحـدة إلي المصلوب بتـأمل وأنت

قائم أمام صليبه حيث سـال النبع من دم الغفران... فقم اغتصب لك خلاصاً لكي تسبح مع اللص.

يسوع يشفع فى اللص

لقد تمت خطة الخـلاص في أولئك اللذين رفعت من أجلهم هذه الشـفاعـة (يا أبتاه اغـفر لهم...) وكـان اللص اليمين أحـد هؤلاء المنتفعين، وقد كان قبلاً مجـدفاً ومذنباً نظير الآخر وشريكاً له في المصير المخيف، لكننا رأيناه يحطم قـيود إبليس ويطرحها عنه في اللحظات الأخيرة من حياته ويتقـدم صاعداً بخفة طريقاً ليس من المعتاد أن يطأها أحد وهو في مثل تلك الحالة، وفي آخر نسمة من حـياتـه حتي لو كـانت لاتزال تفـصله بضـعـة خطوات عن هوة الهلاك. لقد عملت هذه الشفاعة الحقيقية التي رفعت فوق الصليب أجل (فهي شفـاعة كفارية بالدم) وقد أينعت أول باكـورة ثمرتها للوقت من فوق الصليب...

نعم ربما سمع اللص كلمـات يسوع مرة عند سهل جنـيسارت أو عند مـغاور اللصـوص التي في قـفـار وادي الحمـائم، وظلت الكلمـة مـخـزونة ولم ترجع فـارغـة وها هي الآن وجـدت مكاناً خصباً حيث انتصر الإيمان...

أخـيراً فـقد اشـتـعلت نيران الحـب الإلهي في قلب هذا اللص وظهرت هذه الجذوة بين فحمة حـياته الخاطئة. وبالإجمال أن هذا

اللص قد تغير فجأة من التجديف، بقوة صلاة يسوع لأجل اعدائه، وما أظهره من الاحتمال والصبر كل هذا عمل كثمار الروح القدس في قلبه فقاده للتوبة. (تفسير المشرقي).

ولكن توبة اللص كانت توبة حقيقية كاملة مرت بخطوات كثيرة:

أولاً: استنارة النعمة الإلهية

بعد أن كان اللص اليمين يجدف علي المخلص (متي ٢٧ : ٢٤) (مر ١٥ : ٣٢) كف فجأة عن التجديف ذلك أن النعمة الإلهية فتحت قلبه بينما ظل المذنب الآخر في تجديفه موصداً باب قلبه في وجه تلك النعمة.

وحين كان اللص اليمين يجدف ومشتركاً مع الآخر أولاً أضاف إلي قائمة خطاياه الكثيرة خطايا جديدة هي التجديف والاعتداء بالكلام الجارح علي يسوع لكنه تاب أخيراً وندم، وتمثل الحالة الأولي للص حالة البعد عن الله والانغماس في الشرور المختلفة حين يكون القلب بعيداً يخطئ كمثل اللصان- ونحن لسنا أفضل منهما! ولكن عمل النعمة قادته للتوبة- فالتفت إليه الرب وكشف له عن حاله وأشرق النور الإلهي في قلبه وعرفه شدة احتياجه للمسيح فبين له كثرة شروره واستحقاقه للدينونة الرهيبة كما كشف له صلاح الرب يسوع وقداسته ومحبته فلجأ

إليه معترفاً بحالته الأثيمة.

أجل إنها النعمة الإلهية حين تشرق في قلب الخاطئ المظلم وتضئ ذهنه وتجعل أذنيه تستمعان قرعاته الخفيفة علي باب القلب وجاءت توبته استجابة لعمل النعمة العجيب وطوباه لأنه استجاب لنداء الرب وخضع لنعمته في وقت كان قد بلغ فيه منتهي الضعف الروحي والجسدي معاً وقد تسرب اليأس إلي قلبه ونفذ صبره... لقد اجتاز اللص تلك المعركة الروحية الداخلية العنيفة وانتصر لذلك كافأه الرب وشهد لأمانته ونضج إيمانه في لحظة قصيرة من الزمان. فصلي، وتمسكن، واتضع، وكان ذلك أثناء فترة توبته.

لقد ولد اللص حقاً من جديد وولد وهو مصلوب مقيد، ولده المسيح علي الصليب، ولد من الله ونحن أيضاً يمكننا أن يكتب لنا عمر جديد ونرصد في سجل الحياة فنولد حتي لو كنا مقيدين بالأغلال والخطايا وإن كنا قد ولدنا نستطيع أن نجدد معموديتنا بالتوبة.

نعود إلي اللص فنجده قد ثبت وجهه نحو المخلص في صمت رهيب وكف فمه عن التجديف وخطفت روحه، وجالت في نفسه آلاف من الأفكار المقدسة التي رفعته بعيداً عن العالم المادي، سمعناه وقد انتابته رعدة عظيمة بسبب كلمات شريكه الشرير

الذي ظل يكيل الشتائم والتجاديف فحدثه عن مخافة الرب ووجه له دعوة التوبة ثم أقر واعترف بخطاياه قائلاً : «أما نحن فبعدل جوزينا لأننا ننال استحقاق ما فعلناه». إنها لغة التوبة والاتضاع الحقيقي أمام هيبة الدينونة، وإذا ما استمعنا أكثر إلي هذا المذنب التائب نراه يستطرد عن الرب يسوع قائلاً : «أما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله». أي أنه قد صلب لأجل خطايانا! يا له من بشير للمسيح في حلكة ليل الآلام وياله من نجم سطع وأرشد كل الذين يبتغون ميناء الراحة في بحر الحياة العاصف! إنني متعجب من هذا اللص الذي انقلب اعترافه إلي كرازة للآخرين أكثر من شهادة المرأة السامرية.

ألم يدهشنا هذا الإيمان العظيم الفعال الذي أظهره هذا المذنب الأثيم إنه يعطينا برهاناً جديداً علي أن أعمق أسرار السماء تنكشف لبصيرة الإنسان الذي تنبه ضميره فجأة وأحس باحتياجه للمسيح وخلاصه!

إننا نحار بأي الأمرين نبتهج أكثر... أبانتصار اللص وشهادته عن يسوع بجرأة أم بتوبته العجيبة ومعرفته بخطاياه؟

حقاً ما أعجب إيمانه في هذه الظروف الصعبة إنه يعد قيامة من الأموات إذ كيف ينطق هذا المائت بكلمة اذكرني يارب؟ لقد اعتبرها الرب شيئاً له قيمته وكأنه سر به وقال : «لقد كان ميتاً فعاش».. وصارت توبة هذا اللص عظيمة بهذا المقدار فأعطي مثلاً

حيـاً مؤثراً فـيمن يقرأون سـيرته عـبر السنين الكثـيرة فكم من الألوف استـفادوا وتشجعـوا بل خلصوا بهذه المثـال! وكم خاطئ كان قد استنفذ حياته بعيـداً عن الله، ثم جاء أخيراً بالتوبة بتأثير سيرة هذا اللص ولـو أنها حادثة فريدة في الكتاب المـقدس لكنها تدفع بقوة لتخلص حتي الذين علي حافة الموت.

ثانياً : جهاده واحتماله الصليب

كان الصليب هو مكان الخلاص بل هو الوسـيلة الوحيدة التي سبـبت له ذلك اللقاء مع المخلص. فمـا أسعدها فرصـة للخلاص، صار فيـها الصليب بكل معانـيه الروحية وسيلة لـلخلاص تجعل من يتحمله يسـتطيع أن يجد التوبة ليس كمثل عـيسو الذي سلك طريق الاستباحة، فهو لما طلب البركة بدموع أخيراً لم يجدها، ذلك لأن ندامته لم تكن حقيقـية تحوي ذبيحة الصليب ومعناه فلم يكن فـيهـا توجع لأجل الخطيـة التي ارتكبـها بل كـانت توبة بشـرية بمنزلة من يندم علي بضـاعة باعهـا بأبخس الأثمان ثم ندم وأراد أن يستردها كمجرد صفقة تجارية ندم علي ضياعها وعدم قدرته علي اسـترادها، وليس هذا فـحسب بل كان هدفـه من وراء هذه البركـة المواعيـد الأرضيـة أما هذا اللص الطوباوي فـسلك طريق الصليب ولم يطلب خـلاص جسده بل خـلاص الروح لذلك تحمل الصليب والامه وحـسبه شـيئاً زهيـداً لقاء خطاياه التي ارتكبـها فـقال : «نحن بعـدل جـوزينا»، ولذلك لم يتـذمر كـثيـراً من آلام

الصليب بل بالحري ارتقي به إلي الفردوس.

أما اللص الآخر الذي كان هدفه تخليص جسده من الآلام والموت فازداد ثقل الصليب عليه حتي انحدر به إلي الهلاك شأنه في ذلك شأن كل الذين يتذمرون علي الآلام ويشعرون في نفوسهم أنهم لايستحقونها ويطلبون الفرار منها فيهربون من الضيقة، أما مفديو الرب التائبين نظير اللص اليمين، فهم يدركون إرادة سيدهم في الآلام فتصير الوسيلة الوحيدة للقاءهم مع المسيح «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته» هكذا تحول الصليب (الآلام والندامة والتوبة..) إلي حياة وخلاص.

صورة من فوق الصليب

... في تلك الأثناء تقدم أحد الجنود في يده قصبة وعليها اسفنجة ملآنة بمخلوط النبيذ عليه بعض حبات الجوز والمر وناولها ليسوع ليبلل شفتيه المحترقتين بنار العطش، ولما ذاق المخلص لم يرد أن يشرب لأنه وجد فيها دواءاً مخدراً، كان يعطي أما لتقصير أجل المعذبين أو لغيابهم عن الألم بعض الوقت.. وكان الرب يريد أن يشرب الكأس إلي التمام.

ولما جاء دور اللص اليسار طلب الاسفنجة بإلحاح شديد وما أن دفعت إليه حتي التهمها بلهفة زائدة ولسانه مندلع من شدقيه أكثر من اللص اليمين الذي كان يتلذذ بالتعزية السماوية ووعد

المخلص له.

ياللأسف! بدلاً من أن يستفيق يسطاس لنفسه في آخر لحظات حياته ويقدم الندامة عما فرط منه، إذ به يهرب منها فيبرد نار آلامه وراح ثملاً مترنحاً منكس الرأس لايشعر بشئ من مظاهر الحياة يتضور بعوامل النزع الأخير...

كيف لم يستفيق! ولماذا لم يتوجع ويندم علي خطاياه؟؟ ليته بكي علي نفسه ليخلصها من الدينونة!

تأمل !

لقد اقتني اللص اليمين طبيعة سماوية وعبر الدينونة بعدما صلب انسانه العتيق مع الرب وجاز معمودية الموت معه بالحق، إنه اصطحب الرب علي الصليب وشاركه موته فدخلت نفسه معه في العمق واقتنت لها أجنحة روحانية وانطلق من فكر العالم والمادة ودخلت إلي نفسه الاشتياقات الروحية فامتلأت عزة وقوة.

هوذا أنت معلق علي خشبة صليب كبيرة في هذا العالم بجوار سيدك قبلت أو لم تقبل. أمل سمعك واسمعه يقول لك:

أستطيع أنا المصلوب معك أن أنزع عنك سلطان إنسانك العتيق وأحول آلامك إلي تعزية، موتك إلي حياة، فألبسك إنسانك الجديد. وهذا يكون عن طريق احتمالك الصليب وأقصد به (الاحتمال–

التوبـيخ- الشتـائم- الضيـقات- الاضطهـادات- الضرورات...) أقـبلها كـشركـة مع المسيح وكـعـلامة صـادقة علي التـوبـة[١] الحقـيقيـة فـلا تتـذمـر أو ترفضهـا كاللـص الأيسر أو تشـعر بثقلها وتضـجر!

بعد هذا كله يظهر ما فعله اللص اليمين من الجهاد...

إنه تألم بالـصليب ذاته ومع المسـيح وليس بـدلالات الصليب المعنوية فقط، واعـترف بخطاياه الشـخصيـة وندم عليها بقـبوله الآلام نتيـجة خطاياه (كأنهـا استحـقاق لازم) وقد قـبلها برضـي وشكر ووبخ زمـيله الآخر الذي كان لاينفـك عن التعيـير للسـيد وعاب عليه أنه لم يخلصه من الصليب رغم أنه كان في وادي ظل الموت وفي شدة الآلام المريرة لكن لـم تنسحق نفسـه ولم يتضع ولم تنصلح حياته وصدق الحكيم في قوله «لو دققت الأحمق في هاون لاتبرح عنه حماقتـه» (أم ٢٧ : ٢٢) لذلك فإن الضيقات في حد ذاتها لاتحدث أي تغيير في القلب الشرير، بل أنها علي العكس في كثير من الأحيان تثير الفساد وتقسي القلب وتغلظ الرقبة.

لكن نعمة المسيح وحـدها حين تسكن في قلب الإنسان وتجد منه قبولاً هي التي تحول الصليب خـلاصاً وتجعل الضيق ينشئ صبـراً وتعزيه فيـخلص القلب فإنه «بضـيقات كـثيـرة ينبغي أن

(١) لقد أظهر داود صدق توبته حين شتمـه شمعي بن جيرا ولم ينتقم منه بل قال

تدخلوا ملكوت السموات».

قال القديس أغريغوريوس «أن اللص قدم حينئذ كل ما كان ممكناً أن يقدمه للخلاص ولو كانت يداه ورجلاه مطلقتان لاستخدمهما في خدمته، ولكن كان لايملك من الأعضاء الحرة في جسمه سوي قلبه ولسانه فاستخدمهما لأنه «آمن بقلبه واعترف بلسانه» (رو ١٠ : ٩).

ثمار توبة اللص

كان اللص اليسار يكيل الشتائم واللعنات علي صالبيه ثم صرخ بصوت وحشي نحو المخلص «إن كنت ابن الله فخلص نفسك وإيانا».

أما ديماس اللص اليمين فأسرع ووبخ زميله ولم يتجاوب معه في شتائمه بل قال له بتوبة وانسحاق «أننا ننال اليوم نتيجة جرائمنا الكثيرة، أما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله، وإنما هو توقح رؤساء الكهنة وحقدهم عليه لأنه ذم شرهم، إذ هو قدوس!

والتفت اللص نحو الرب بكل توبة وصدق وكأن لسان حاله يقول : أنا أؤمن أنك ابن الله، وأنك ملك وملكوتك أبدياً مع أنك مهان اليوم وصابر علي الآلام (اذكرني يارب متي جئت في ملكوتك).

فحول يسوع رأسه النازف الدم، ووجهه الذي علاه الأصفرار

أن الله هو الذي أمره أن يشتم داود وقبل الصليب (٢ صم ١٦ : ١٠).

والذبول وتبسم تبسماً سماوياً وقال له : «الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس».

فأبرقت تقاطيع وجه ديماس بالفرح والسرور، وتجددت فيه قوة الاحتمال والصبر، وأما اللص اليسار فلم يستفد شيئاً بل بالحري صر علي أسنانه غيظاً وابتدأ يلعن ويسب.

لقد مثل اللصان الجنس البشري بأسره، حين صلب علي جانبي الرب فكان عن يسار المخلص القسم الهالك (بنو اليسار) ومثل اللص اليمين الذين يموتون بموتهم مع المسيح لأنهم يعيشون حياة التوبة ويقبلون المخلص الوحيد. ونري أن يسوع فرح بهذا اللص التائب أكثر من كل من علي الأرض، وأنساه آلامه وموته، فقد أجابه للتو من علي الصليب لأنه سر به.

لقد جذب يسوع بموته وآلامه كثيرين أناروا كالنجوم وقت الظلام وكان من بينهم هذا اللص اليمين.

صلاة اللص التائب

كانت صلاته صلاة خاطئ يحتضر أمام إله قادر مخلص، وقد رفع اللص صوته بهذه الصلاة، فاستجاب له الرب بأسرع ما تكون الاستجابة، وكثيرون كانت لهم صلوات طويلة وابتهالات، ودموع وعرق، وأما هذا اللص ففي عبارة واحدة وقصيرة لكن عميقة استطاع أن يحصل علي كل شئ، وأصبحت صلاته مصدر

تأملات لكثيرين حيث رددتها الكنيسة كلها معه مدي الأجيال وقد تعلمتها منه(١).

هي صلاة إنسحاق واتضاع لم يطلب اللص فيها أن يجلس عن يمين العظمة في الأعالي، بل إنه طلب أن يذكر فقط، فاستجيب له للوقت، ومازالت الكنيسة تصلي عن كل نفس منتقلة قائلة «افتح لها يارب باب الملكوت كما فتحت لذلك اللص اليمين... (ابصالية آدام للتجنيز) لقد كانت هذه الصلاة علامة أكيدة علي خلاص اللص وكانت أولي ثمار الحياة الروحية (أع ٩ : ١١) وطالما هناك حياة فهناك رجاء، وطالما كان هناك رجاء، فهناك مجال الصلاة...

وأضحي اللص القاتل قديساً وبدأ يصلي لكن ليست الصلاة التي تصدر من الإنسان العتيق والقلب غير المتجدد، والحياة غير النقية التي قال عنها السيد المسيح «أن بيتي بيت الصلاة يدعي وأنتهم جعلتموه مغارة للصوص» (لو ١٩ : ٤٦).

كان قلبه ينبض من الداخل قائلاً :

اذكرني يا مخلصي الوحيد فأنت وحدك الذي تلتفت إلي الخطاة التائبين، الكل يهربون مني، وأما أنت فتبتسم لي وابتسامتك منها القبول والرضي والخلاص، اذكرني يارب وأنا

وحيد في محنتي وليس لي معين سواك، فقدت كل شئ حتي فرصة الحياة لكني سعيد بوجودك قربي وأنت مصدر الحياة، أنت لي كل شئ، أنت ربحي بعد الخسارة وأنت راحتي وسط الأتعاب الجسام، أنت ينبوعي وأنا لا أجد قطرة ماء، كل من حولي لايستطيعون معونتي بل إني صرت منبوذاً منهم، فصرت أنت وحدك رجائي...

ولست أطمع أن تذكرني لتنقذني من الموت الذي يسرع إليّ فإني استحقه لقاء خطاياي، لكني أطمع أن تذكرني برحمتك لتغفر لي ذنوبي وتعطني نصيباً في ملكوتك.

هكذا صلي.. وقد استجيبت صلاته وذكره الرب أولاً لأنه لاينسي أحد التجأ إليه، فهو ليس مثل البشر...

فهل لنا أن نذكر كل من سألونا أن نذكرهم في صلواتنا أو أننا نشابه رئيس السقاة الذي نسي يوسف أمام فرعون (تك ٤٠ : ٢٣).

❖ ❖ ❖

الفصل الرابع
ديماس باكورة الداخلين إلى الفردوس

«يابحر المراحم الذى بلجة محبته فاض على اللص، أعطنى لأسبح بين أمواجك ولججك»

(مار يعقوب السروجى)

❖ ❖ ❖

«إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه»

(رو ٨ : ١٧)

تأمل !

جذب اللـص أنفاسه الأخـيرة ووجـه حديثـه إلي المخلص في صلاة إنسحاق قائلاً : «اذكرني يارب متي جئت في ملكوتك».

ورفع السيد هامته المكللة بالـشوك وبصعوبة بالغة ولكن بكل مسرة، وهمس له قائلاً : «الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس، نعم! سـأنقلك حالاً من دار الشقاء إلي دار البـقاء ومن عناء الصليب إلي هناء الفردوس.

تعـجب! إن الذين يخـدمون العـالم لاينالون منه أجـراً يوازى تعبـهم بل قد يغدر بهم أخـيراً ولايكافـئهم البتـة، أما اللص الذي قضي حياته يخدم العالم ولم ينل منه شـيئاً غير الصليب فإنه لما خدم السيد المسيح ساعة واحدة، نال أجراً لايتصوره عقل بشري ولايخطر علي قلب إنسان!

قال القـديس أغسطينوس: لما كـان لصا إلي النهـاية تمكن من سرقة السماء نفسـها.

❖ ❖ ❖

لقد أشرق علي وجه ديماس نور النعمة، وملأت وجهه ابتسامة عريضة، وظل هكذا إلي أن لـفظ أنفاسه الأخيرة، فـانطلقت نفسه من الجسد إلي الفردوس المجـيد ليجد السيد نفسه في اسـتقباله، ويبقي في معيته إلي الأبد...

أخرون صاروا أولين

لقد جاء اللص أخـيراً إلي الرب ومع ذلك أدخله الفردوس أولاً. ففي الوقت الذي كان الكهنة يـقدمون باكورة حصاد الشـعير في الهيـكل، قدم رئيس كـهنتنا السمـاوي باكورة الحصـاد الروحي للآب– ألا وهو هذا اللص الـيمـين، الذي طلب من الرب أن يذكـره في ملكوته، وأعطاه، الـرب طلبتـه في نفس اليـوم[١] لأنه سريع الاستـجابة، وفي نفس اللحظة التي لفظ الـلص أنفاسه الأخـيرة، فـتح عينيـه علي عـالم آخر، ليس كـمـا طلب بطرس من الرب أن يتبـعه مرة، فـأجابه الرب قـائلاً : لاتقدر أن تتبـعني الآن ولكنك أخيراً ستفهم. (يو ١٣ : ٣٦).

لقد نال اللص أكـثر مما كان يطـلب أو يفتكر أو يفهم، وأخـيراً فاز بأن يكون مع الرب كل حين، ما أجـمله نصيب أن نكون حيث يسوع، لقـد كان زميـلاً علي الصليب وزميلاً صـالحاً ولم يكتف الرب بصحبته له علي الصليب وإنما قرر أن تستمر الصحبة أيضاً إلي الفردوس.

قال قـداسة الأنبا شنوده : إن الوجـود مع الرب هو أجمل من

(١) لقـد مضت نفس المخلص فـوراً حين أسلم الروح إلي الجحـيم لتـبشر نـفوس الصديقين وتخـرجهم من هناك، ثم قام وأصـعدهم معه كـعظيم رحمته (فـقد أعطي إطلاقـاً لمن قبض عليـهم في الجـحيم). ثم أدخلهم إلي الفـردوس مكان

الفردوس أو أجـمل ما في الفـردوس فهو الفـردوس ذاته بل هو النعيم الحقيقي، وأن نوجد مع الرب فهذا ما وعدنا به لأنه قال.. آت وأخذكـم إلي حـتي حيث أكون أنا تكـونون أنتم أيضاً (يو ١٤ : ٣) ما أجـمل هذا الوعد أنه أملنا الذي نسعي إليـه ونتشهاه، إن الحـياة الروحيـة هي معـية مع الرب لقـد أظهر هذا اللص نمواً سـريعاً في النعمـة وفي معرفة ربنا يـسوع المخلص من أول لحظة وضع رجله علي السلم فوصل إلي أعلي الدرجات. دخل المدرسـة صباحاً وهوذا في نفس اليـوم عرف كل شئ من المـعلم الصالح، علم كل الأسـرار حتي مجئ الرب الثاني ولمكوته الأبدي.

إيه أيتها النعمة الغنية التي تصير الجاهل حكيماً واللص قديساً وعالماً، فـلا عجب إن كـانا وهو مازال مـقيـداً علي الصليب نسي آلامه وفـاز بهذا الإعلان العظيم ألا وهو مـعرفة الرب فـإن ما لم يستطع أن يسـتسيـغه بطرس عن الرب المزمع أن يصلب، تفهـمه اللص وقبله (متي ١٦ : ٢٢).

المسيح يشدد إيمانه

أراد الرب أن يطمئن اللـص علي مصيـره الأبدي قبل أن يلقي الموت، وعده أن يكون مـعه في الفـردوس حيث أن قلبـه كان مع الرب علي الأرض، وأودعـه إياه من فوق الصليب مـتألماً فـسوف يتمجد معه أيضاً.

الأبرار، وكان في مـقدمتـهم اللص اليمين، كان اليـوم جمعـة وهو نفس اليوم

قـال القديس أوغـسطينوس: أن المسـيح قال له كلمـة (الحق) بمثابة قسم حتي يتأكد اللص من ذلك الوعد لأن الجزاء الذي وعد به في غاية العظمة حتي لايصعب عليه إذا تصور حاله أن يصدق أنه يناله كما ولايصعب عليـه أن يصدق أن المسيح وهو مصلوب بالجسـد بعد يقدر أن يمنحه هذه العطـية الفائقة، لذلك تكلم مـعه الرب بلغة التأكـيد ليملأ نفسـه ثقة خاصة وأنه كان فـاقد الرجاء بسبب كـثرة خطاياه، ولما كـان يسوع هو الحق والحيـاة لم يجد تأكيـداً أعظم من ذاته وكأنه أقسم بذاته حين قـال له: الحق أقول لك وهذا حق لأن الـرب يسـوع هـو الشـاهـد الحق. وقـد قـال لبيلاطس إنه ولد وجاء إلي العالم ليشهد للحق، خاصة لهذا اللص المحتاج .

مضى إلى الفردوس

لقـد مـضي اللص إلي الفـردوس وليـس إلي الملكوت، وكلمـة الفردوس كلمة فارسيـة وتعني حديقة ذات أسوار، وإذا أراد الملك أن يكرم أحـداً من رعـيتـه يجـعله شـريكاً له يتـمشي مـعـه في فردوسه.

وهذا ما يحدث حقيقـة إذ أن نفوس المؤمنين فور خروجها من الجسد تذهب فـوراً إلي الفردوس مكان الانتظار لتسـتريح زماناً إلي أن يكمل العبيد رفقائهم جهادهم أيضاً. فالفردوس هو الراحة

الذي خرج فيه آدم مع الفردوس.

الروحية التي تحصل عليها النفوس كعربون لمجد الحياة العتيدة التي لم تستعلن بعد، وتصلي الكنيسة عن نفوس المنتقلين قائلة : علهم في موضع خضرة علي ماء الراحة في فردوس النعيم الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد في نور قديسيك، وتسميه أيضاً حضن آبائنا القديسين ابراهيم واسحق ويعقوب (أوشية الراقدين) وتظل النفوس هناك إلي ذلك الوقت الذي تتحول فيه إلي الملكوت الدائم، نعم فإن الملكوت الدائم هو سعادة النفس والجسد معاً في مجئ الرب واستعلان ملكوته ومجده الأبدي وسوف يكون هذا في اليوم الأخير بعد الدينونة حيث تلبس النفوس القديسة أجساداً عديمة الفساد، وتعلن الكنيسة في صلواتها قائلة أقم أجسادهم في اليوم الذي رسمته لهم كمواعيدك الحقيقية غير الكاذبة هب لهم خيرات مواعيدك ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر علي قلب بشر ما أعددته يا الله لمحبي اسمك القدوس، وتسمي الكنيسة هذه الحياة العتيدة أيضاً (كورة الأحياء إلي الأبد- أورشليم السماوية) (القداس الإلهي).

لقد صحح السيد المسيح مفهوم اللص بطريقة هادئة حكيمة وحين طلب منه أن يكون في ملكوته أجابه أنه سيكون معه في الفردوس! لأن ملكوت السموات لايدخله الناس إلا بعد القيامة العامة أو قيامة الجسد أما الآن فيذهبون إلي الفردوس وهو مكان

الانتظار.

آخر مشهد فوق الجلجثة

ليتنا نحلق بـأفكارنا قليلاً فوق تلة الجلجـثة لنشاهد مـا حدث في اللحظات الفـاصلة... نـري اللصـان المعلقـان فوق الخـشـبـة ينكسون رؤوسـهم وقد سبـقهم الرب لأنه مات أولاً. وقـد حدث افتراق بعد ذلك لأن اللص الأيسر أتت قوات الظلمة وتلقفته، فنزل ذلك إلي أسفل ومات في خطيته فبقي عن اليسار أبداً.

لكن اللص اليـمين الطوباوي المعلق عن اليـمين، فـاز بالجلوس عن يمين المخلص في مركـبة المجد ووسط هتـافات الملائكة. فكان هو البشير الأول داخل الفردوس بوصول أرواح الأبرار إلي هناك وإعـلاناً أكيـداً بأن المخلص قـد كسب المعـركـة العظيمـة وصنع الخلاص الأبدي.

ولابد أن اللص اليمين قد اسـتقبل بمزيد من الحفاوة كـباكورة ثمار آلام الرب الـتي تحملها، وأول حـصيـدة المبارك الذي سـقاه الدم الكريم، فصار أول مواطن في المـلكة السماوية ضمن هؤلاء الذين يسجدون للحي إلي أبد الأبدين.

لصاً داخل الفردوس

لقد دخل اللص الفردوس فور مـوته دون أن يقضـي أية ساعة في مايسمـونه بالمطهر فهو لم يقضـي أية فـترة في أي مكان آخر لأن الرب قال له بالتأكيد (اليـوم تكون معي...) ومن ناحية أخري لم تبق روحه في أماكن سكناها علي الأرض إلي اليوم الثالث كما يدعي البـعض وتحتاج هذه الـروح إلي من يصرفهـا (إن صلوات الثـالث هي صرف الـروح) يقصـد بهـا صرف روح الحـزن عن أصحاب الميت).

لقـد تحول اللص من مـكان الإعدام إلي الفـردوس ومن الآلام إلي الراحـة ومن الهـوان إلي الأمـجـاد! إنـي أتخـيله داخـلاً إلي الفردوس وسط جوقات الملائكة الروحانيين يرحبون به ويتهللون معه، من ينظر هذا المنظر ولايندهش حين يري واحداً مـضيئاً مثل الصباح كان في اليـوم نفسه مجدفاً ومجرمـاً، لقد أخذ الأجر مع أصحاب الساعة الحادية عشر وكان أجره عظيماً.

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس
يذكر ما فعله اللـــــص!

«لقد ذكره الرب حسب وعده فى ملكوته وإنجيله ونحن نذكره أيضاً داخل كنيسته المجاهدة مثالاً لكل المؤمنين على مدى الأزمان»

(مار يعقوب السروجى)

نذكره فى مدائح التوبة

صار تذكاره تسبحة في فم كل تائب وبهجة لكل قلب يشيعه ثقة وقبولاً أمام محضر المسيح، فتذكار توبته أصبح غذاء لكل قلب أضعفته الخطية. فتقول الكنيسة في ختام الثيئوطوكيات الآدام:

(إن العشار اخترته والخاطئة غفرت لها واللص اليمين ذكرته رحمتك لا نهاية لها وأنا أيضاً الخاطئ يارب علمني أن أصنع توبة).

وفي ذكصولوجية الصوم الكبير نقول : «اجعلني مثل اللص الذي صلب عن يمينك واعترف بك هكذا قائلاً أذكرني ياربي، أذكرني يا إلهي، أذكرني يا ملكي متي جئت في ملكوتك. فأنت يا مخلص قبلت اعترافه إليك وتراءفت عليه وأرسلته إلي الفردوس. وأنا أيضاً الخاطئ يايسوع إلهي وملكي الحقيقي تحنن علي واجعلني مثله، أذكرني برحمتك لأبد الأبد».

ونقول أيضاً في ابصالية واطس علي تذاكية الجمعة : «مقبول هو وقت الرجوع لأن اللص قال عن يسوع بنسوتير أن أغاثوس».

وتصلي في ابصالية آدام ليوم الأحد : «سبق يوم صلبوتك لص اعترف بلاهوتك، قال أذكرني يارب في ملكوتك- مراحمك يا إلهي... مراحمك يا إلهي تأتي علينا مثل اللص الذي صلب عن

يمينك.

وفي ابصالية علي الهوس الأول نقول : «احسبنا مع اللص اليمين يا إلهي وأضئ عقولنا وأفهامنا ومثله هكذا نخلص من الشياطين وبقوتك اسحق قوتها النجسة عنا.

ويذكر في الأجبية والقداس

وقد استفادت الكنيسة من توبة اللص وصلاته في القداس الإلهي إذ أن الكاهن بعدما يطوف بالبخور الذي هو ذبيحة خطية بين صفوف المصلين ثم يرجع قافلاً إلي الهيكل ويضع يد البخور في الشورية عينها ويصلي قائلاً : «يا الله الذي قبل إليه اعتراف اللص علي الصليب إقبل إليك اعتراف شعبك واغفر خطاياهم». وقبلما يقدم الذبيحة عن خلاص الشعب يضع يديه علي المجمرة فيأخذ من البخور نفسه ويضعه علي الذبيحة قائلاً : «وضع لنا هذا السر العظيم... لأنه فيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم».

وتتذكر الكنيسة اللص في صلواتها في وقت الساعة التاسعة حيث تنقل إلينا مشهد الصليب في كل يوم وتقول : «لما أبصر اللص رئيس الحياة علي الصليب معلقاً قال لولا أن المصلوب معنا إله متجسد ما كانت الشمس أخفت شعاعها ولا الأرض ماجت مرتعدة لكن أيها القادر علي كل شئ والمحتمل كل شئ أذكرني يارب إذا جئت في ملكوتك».

«يا من قبل إليه اعتراف اللص علي الصليب اقبلنا إليك أيها الصالح نحن المستوجبين حكم الموت من أجل خطايانا نقر بخطايانا معه معترفين بألوهيتك ونصرخ معه جميعاً أذكرني يارب متي جئت في ملكوتك:

وتصلي في مقدمة القطع السابقة وتقول : «يا من أسلم الروح في يدي الآب عندما علقت علي الصليب وقت الساعة التاسعة وهديت اللص المصلوب معك بالدخول إلي الفردوس لاتغفل عني أيها الصالح ولا ترذلني أنا الضال بل قدس نفسي وأضئ فهمي...».

ويذكر أيضاً في تحليل الكهنة في نصف الليل...

ويذكر فى صلاة التجنيز

تصلي الكنيسة عن نفوس المنتقلين قائلة : «هذه النفس يارب التي اجتمعنا بسببها... نيحها في ملكوت السموات، افتح لها يارب باب الفردوس كما فتحته لذلك اللص اليمين، افتح لها يارب باب الملكوت لتشارك جميع القديسين، ولترتل مع كافة الملائكة ولتستحق أن تنظر النعيم ولتدخلها ملائكة النور إلي الحياة ولتتكئ في حضن آباءنا ابراهيم واسحق ويعقوب».

وحين قال الرب يسوع للص اليوم تكون معي في الفردوس كان بمثابة قص الشريط الذهبي الذي أغلق باب الفردوس زماناً

ليـدخل اللص... وهذه الكـلمـات وحدهـا تكفي لأن تكون جـواباً شافيـاً لكل الأجيال، إنها كلمـات كثيراً ما حطـمت قيود الموت عن النفوس وفـتحت سماء التـعزيات فجاءت كنغم سـلام منبعث من الفـردوس وترددت أصداءه في أسـماع الملايين وهم علي فـراش الموت وجاءت الكـلمات معـبرة عن النتـيجة الكاملـة لآلام المسيح وموته الذي هو عريس نفوسنا.

وفي صلاة الدفنة يوم الجمعة العظيمة

وفي صلاة الدفنة يوم الجمعة العظيمة نقول في لحن الغلغثة:

الجلجثة بالعبرانية الاقرانيون، الموضع الذي صلبوك فيه يارب فـصلبـوا مـعـك لصين عن يمينك وعن يسـارك وأنت كـائن في وسطهما أيها المخلص الصالح فصرخ اللص اليمين قائلاً : أذكرني ياربي، أذكـرني يـامـخلصي، أذكـرني يا ملكـي مـتي جـئت في ملكوتك. أجـاب الرب بصـوت وديع أنك اليـوم تـكون مـعي في الفردوس.

وترتـل الكنيـسة فـي وقت التجنيـز بمديحة أمانة اللص، هذه القطة التي تتلي في الكنيـسة بالثلاثة اللغـات اليونانية والقـبطية والعربية- ومردها هو : «أذكرني يارب- ياقدوس- ياسيد».

وإليك المديحة :

١ - ياملك الملوك المسـيح إلهنا، ورب الأرباب، كـما ذكـرت اللص

اليمين الذي آمن بك علي الصليب أذكرنا في ملكوتك...

٢ – من رأي لصاً آمن بملك مثل هذا اللص الذي بأمانته سرق ملكوت السموات وفردوس النعيم...

٣ – من أجل أعمالك أيها اللص وقعت في طريق الخاطئين وبكلمتك استحقت النعمة والفرح وملكوت السموات وفردوس النعيم...

٤ – طوباك أيها اللص الطوباوي ولسانك الحسن المنطق الذي تأهلت به بالحقيقة لملكوت السموات وفردوس النعيم...

٥ – أيها اللص الطوباوي ماذا رأيت وماذا أبصرت؟ حتي أعترفت بالمسيح المصلوب بالجسد ملك السماء وإله الكل...

٦ – ما رأيت المسيح الإله متجلياً علي طور طابور في مجد أبيه بل رأيته معلقاً علي الأقرانيون فلوقتك صرخت قائلاً...

٧ – آمنت لما رآيت السماء والأرض اضطربتا والشمس والقمر أظلمتا والأموات قامت والصخور تشققت وستر الهيكل انشق فلوقتك صرخت قائلاً...

٨ – قال الرب الحق الحق أقول لك أيها اللص أنك اليوم تكون معي في فردوسي وترث ملكوتي. التلميذ أنكر واللص

صرخ قائلاً...

٩ – طوباك أنت يادیماس اللص أكثر من كل من علي الأرض لأنك نلت وسيلة لم ينلها أحد قط، كل زمانك كنت لصاً في غابات أورشليم وبكلمة واحدة قلتها للرب أرسلك إلي الفردوس...

١٠ – كان لما صلب مخلصنا علي خشبة الصليب صلبوا معه لصين عن يمينه وعن يساره فصرخ ديماس اللص اليمين قائلاً...

١١ – قال له مخلصنا أنك اليوم تكون معي في فردوسي وتتنعم فيه ونحن نطلب إلي الذي رفع علي خشبة الصليب وبذل دمه الإلهي عنا وأبطل الموت بموته أن يغفر لناخطايانا ويحفظ لنا حياة الآب البطريرك البابا شنوده الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الأنبا بيشوي وسادتي الآباء المجتمعين في هذه البيعة من صغيرهم إلي كبيرهم قولوا كلكم أمين..

أذكرنى يارب متي جئت في ملكوتك

أذكرنى ياقدوس متي جئت في ملكوتك

أذكرني ياسـيـد مـتي جئـت في ملكوتك

ويذكر في صلوات القنديل

يصلـي الكاهن في الطـلبـة الـتي تتلي عـلي المريض قـــائلاً : «تبـاركت أيها المسـيح إلهنا الصــالح طبيب أنفـسنا... الذي غفـر للخاطئـة خطاياها والذي قبل إليه اعـتراف اللص في آخر حـياته وأنعم له بالفردوس، الذي حمل خطايا العالم وسمر علي الصليب بإرادته»...

حيث أننا نطلب من أجل المريض المتألم الذي تشبه حالته حالة اللص المصلوب في آخر حياتـه طالبين له المغفرة والخلاص وهي أهم من الشفاء الجسدي.

❖ ❖ ❖

الفصل السادس
ميامـــر
اللص اليمين

١ - ميمر مار يعقوب السروجي علي الملاك واللص- يقرأ الساعة السادسة يوم الجمعة.

٢ - ميمر أبينا القس الأنبا بولس البوشى.

٣ - ميمر قداسة اللباب شنوده الثالث (عن اللص اليمين)

ميمر يعقوب السروجى على الملاك واللص

يقرأ فى الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة (١)

صرخ الملك علي الصليب فشق ستر الهيكل وأظلم ضوء النهار، وملكت الظلمة، وجزع الموت، وفزع العدو، ووقع علي وجهه، وتفتحت القبور وخرج الموتي حينئذ ظهر النور للص بأمانته أخذ إكليل الغلبة وحين كان جماعات اليهود متحيرون صرخ اللص إلي السيد المسيح قائلاً : أذكني يارب متي جئت في ملكوتك. بينما كان بدء الهلاك نازلاً علي اليهود أبرق سراج اللص بأمانته ولنور الشمس غلب... كان الرب علي الصليب عرياناً وليس معه أجناداً ولا مواكب ولم يكن له عرش ظاهر يجلس عليه لكن أنار مصباح اللص ويقينه وقال (أذكرني يارب في ملكوتك). رآه في اتضاعه لا في مجده الذي يظهر فيه يوم القيامة وطلب منه الرحمة... رفع ابتهاله إلي السماء وقال بتنهيده الشديد : «افتح لي يارب الرحمة حتي أدخل تلك الحياة، أعطني يارب خبز الحياة حتي أتنعم علي مائدتك، اذكرني يارب تحت جناح رحمتك لئلا أقع في الهلاك لأنه ويلي أنا اللص الكثير الذنوب، أغثني يارب من خزائن رحمتك ومن عطيتك السمائية وحسب نعمتك تجاوز عن فعلي القديم. ألحقني بفعلة العدالة السمائية لأنه ويلي

(١) عن مخطوط ميامر بكنيسة السيدة العذراء بنبروه.

أنا المسكين الذي دخلت كرمك في الساعة الحادية عشر، إن لم تذكرني برحمتك لهلكت لأن الذين عملوا من الغد قد استوجبوا الأجرة أما أنا لم أعمل من النهار إلا ساعة واحدة فألحقني وضمني إلي فعلة الغداة بكثرة رحمتك لأن فعلة الغداة يطلبون بدالة أجرتهم أما أنا فقد تأخرت إلي المساء فضمني إليهم كرحمتك وإذا ما أعطيت الأجرة التي هي رحمتك فابتدئ بي يارب ليفرح أولاد اليمين الذين عملوا قبلي مع أني عملت معك أخيراً. أدعني أولاً ليفرح أولئك ويقولون إن كان أخذ ديناراً في ساعة فكم نعطي نحن؟ ويسر الخطاة بي ويرجعون إلي التوبة.

أنت قلت ياسيدي أنك جئت في طلب الضال فاطلبني لكي أكون عزاءاً ومنظراً لكل من يريد التوبة. أنت لم تأت لتدعو الصديقين لكنك للخطاة دعوت جمعت الموجودين وبحثت عن الهالكين. سيفرح بي يارب أجناد النور لأنهم يفرحون بالخاطئ إذا رجع إليك، وقربني يارب قدام أبيك لأني آمنت بك قدام أجناد قيافا، وقربني إليك قدام جميع الصديقين ولا ترفضني إذا ما دنت الخلائق لأني لم أكفر بك حين كنت مداناً من اليهود، حقاً أنا الخاطئ المسكين قد استحقيت الموت وصلبت نظير سيئاتي وما علمت أن كنز الحياة معلق علي العود بجانبي وحين استوجبت الموت نظير سرقتي وقتلي وورثت الحياة من الموت، ومن وسط الموت نبعت لي الحياة إذ رأيتك يارب بينما كنت غريقاً في ظلمة

الخطية وفي آخر أيامي ظهر لـي النور فأسألك يارب أن تذكرني في يومك العظيم وإن كنت قد رأيت اتضاعك فأرني مجدك!

أجابه الـرب يسوع وقال : أقـول لك الحق أنك تفرح مـعي في فردوسي لأنك وأنت في الظلمة لسانك أثمر التـسبيح فعلي مائدة الحيـاة تتنعم مع ابراهيم، وحين كنت في سـحاب الظلمـة أشرق نور سـراجك فـفي مـيـراث النور مع الملائكة والقـديسين تفـرح وتسـمع أصوات التـسـبيح وتتـعزي مـع القوات النورانيـة لأنك احتـقرت أجـناد قيـافا وكـهنة اليهـود فألبـسك ثوب البهـاء في الفردوس.

الرب يسوع أعطاه كتاب الحياة (١)

أقول لك أيها الـلص خذ مفتاح النور وأذهب إلـي مكان الحياة وأعد الطـريق لملك النور الذي رذله اليهـود، أعبـر الهوة العظيـمة وأقطع طريق النار وأعـبـر أودية اللهـيب بغيـر فـزع وحين تبلغ الأجناد الملائكية بشرهم بالغلبة... أخبر بأن آدم العاصي قد رجع إلي مـيراثه القـديم وإن قابلت أحـد الكاروبيم فلا تفـزع منه لأنه يفرح بكتابك ويحملك علي أجنحته...

وكتب الرب كتاب الحيـاة للص وأعطاه اسفنجة الخل والحربة

(١) نلاحظ أن القديس مار يعقوب السروجي يـتخيل لنا ما قد حدث مع اللص حين جازت نفسه إلي الفـردوس وما قابله في الطريق بطريقة روحيـة تشبع خيال

التي طعن بها في جنبه.. وختم بدمه الحي كتاب اللص وأرسله- وقد اعتمد اللص علي عود الصليب بدم الرب وعاين الحياة والتحف بالنور من ذلك الماء الذي نزل من جنبه وفتح له باب الرحمة بتلك الحربة ولنا جميعاً حيث أعتقنا من الخطايا. هكذا بعدما نال اللص حميم الميلاد الجديد بالدم ولبس ثوب البهاء وأخذ مفتاح الفردوس أجازه كلام الرب فوق النار وبيده الكتاب المختوم بالدم.

قابله الكروبيم

ولما عبر علي بحر النار لم يحترق من لهيبها فجاز الطريق حيث تقابل مع الملاك الحارس لطريق شجرة الحياة فسأله قائلاً : أخبرني أيها الرجل من أين أتيت؟ وكيف حملتك الرياح علي أجنحتها ولم تحرق ضعفك؟ ومن الذي فداك أيها الترابي؟ أخبرني من أنت؟ هل أنت آدم الذي جبله الرب بيديه أو أنك شيث المصور بعجائبه؟ العلك نوح الذي جاز الطوفان وأرضي الله.. أو ملشيصادق الذي حفظ أمانته ودعي كاهن الله من أجل صلاته؟ هل أنت ابراهيم أب الآباء؟ أو اسحق ابنه الذي افتداه الله من السكين؟ أو أنك يعقوب الذي أبصر الرب في أعلي السلم السمائي؟ هل أنت يوسف الذي غلب القتال أو أنك موسي الذي شق البحر وأمواجه قدام شعبه؟!!

القارئ.

قل لي هل أنت يشوع بن نون الذي حبس الشمس عند اعتدال النهار؟ ألعلك جدعون الذي شبه نزول الرب بالندي علي الجزة أو يفتاح الذي بذل ابنته بعد الغلبة.

لماذا جئت؟ ألعلك داود النبي الذي دعـاه الروح القدس قلب الله أو أشعـياء الذي رأي مجـده ودعاه العجـيب! ليتك حزقـيال الذي نظر الرب علي مركبته أو دانيال الذي سد أفواه الأسود! ربما أنت سمعـان بطرس الذي مشي علي أمواج البـحر أو يوحنا بن زبدي الذي اتكأ علي صدر الرب!!.

أخبـرني أيها الضعـيف من أنت؟ الذي بجرأتك جزت البـحور ولم تذب فيها.

اعتراف اللص بالحق

أجاب اللص قائلاً : (١)

لا تغضب أيها الملاك فإني أخبرك من أنا؟ ومن الذي أرسلني؟ لقد كنت لصـاً مجرمـاً وفي الشر غارقـاً وبدم الناس كنت ملوثاً. فكنت أقطع الطرق وكم أفقـرت أغنياء وقتلت شيـوخ وشبان ولم أرحم أحد حتي بدم الأطفال قد اغتسلت..

ولما سمع الملاك هذا الكلام تحير وناد الطغمات الروحية وهو مرعوب وقال هلم يامعاشر الملائكة تعبجوا معي اليوم من هذا الترابي. ثم قال له أيها اللص الضعيف ماذا تصنع في بلاد الأحياء ياملوث بالدم؟ في أي طريق سلكت إلينا أيها السارق ليس في بلدنا شئ تسرقه! أتستطيع أن تقتل الملائكة يامهلك أصحابه أو تقتل الروحانيين؟!

أنصحك أرجع إلي بلدك لئلا تحرقك النيران وأجنحة الروحانيين ياجنس العشب، ألست تعلم أن جدار الفردوس من النار فما تقدر أن تقربه وأن دنوت احترق ضعفك فكيف تجرأت علي المجئ هنا؟

قال اللص : أسمع أيها الروحاني كلامي لقد أصعدتني الرحمة من الهلاك إلي الحياة وقد تطهرت من خطاياي بعدما كنت قد أفنيت جميع أيامي في المعصية لكن في آخر عمري جذبتني الرحمة إلي الحياة. اسمع أيها الملاك أن الملك هو الذي أعطاني الحياة لأني آمنت به علي الصليب وهو في حال اتضاعه، ففتح لي باب الرحمة لأدخل مدينة الأحياء، وقد كان ينبغي لك أيها الملاك أن تفرح بالخاطئ إذا تاب لأن إلهك فرح بمثلي(١).

(١) تحولت الخواطر والأفكار التي تعطي النفس ملكة التأمل في الروحيات إلي

أجـاب الملاك وقال له : لماذا لم يرسل الرب مـلائكة لتـعد طريقـه ولماذا ترك ابـراهيم رأس الآباء وأرسـلك أنت؟ ولماذا ترك مـــوسي ويشـوع وإيليا واليـشع... هؤلاء الرجـال الروحـانيين الذين أحيـوا الأمـوات؟ وكـيف ترك داود النبـي الذي نظره في مـيـلاده وقـبـره وقيـامتـه وذكره فـي نبواته وأرسلك أنت؟ هل ترك الذين صـرخت نبواتهم مثل صوت القرن وبشروا به قـبل مجيئه بأجيال طويلة ولك أنت أرسل؟ أين هابيل البار وشيـث الحسن ونوح الصديق وابراهيم الخليل واسحق الذبيح ويعقوب المصارع... لماذا ترك هؤلاء المختارين بنوا الملكوت وأرسلك أنت يامغرق في الدماء لتهئ طريقه.

قـال اللص : اسـمع أيهـا الملاك حـتي أخـبـرك: ليس من أجل خصـومة ملائـكة أرسلت بل أرسلني إلي الفردوس لأن الرحـمة أصـعـدتني من سـوء أفعـالي لذلـك ترك كل هؤلاء الأبرار الذين ذكرتهم وأرسلني وحدي، لأن أولئك يأتون مع الرب بالمجد أما أنا فمن فوق خـشبة الصليب أرسلني فـوراً إلي الفردوس فإن أولاد الملكوت هم في النيـاح لأن الملكوت لهـم، أما المرضـي مـثلي فـهم المحتاجين إلي الشفاء، لقد ترك الأبرار الذين لايحتاجون إلي دواء أما أنا فـقد خصني بالمغـفرة وأرسلني وقـد بدأ بي لأني لم أعمل من النهار إلا ساعة واحدة (مت ٢٠ : ١٢).

خذ أيها الملاك كـلام الرب الذي قاله لي فهذا هو المفـتاح لقفل النار لأن الملك أرسله معي.

قال الملاك وهو يرفع سيفه، لكني أقول لك أيها اللص، لن تدخل بلد الحياة حتي يأتي الرب، ولاتخطو تلك الطريق حتي أراه ويفتح القفل الذي قفله آدم، وأكمل قائلاً أسمع أيها اللص أن الملائكة ما يقدروا أن يروه في مجده ولك أنت ياملوث بالدماء أرسل إلي الفردوس!

قال له اللص : أيها الملاك الروحاني أن الرب نظر أمانتي وضعفي وهو معلق علي الصليب وكيف كنت أصد المخالفين وأرد علي افتراءاتهم لأن الشمس كانت صامتة والأرض ساكنة والإبن المحبوب علي الخشبة مصلوب، وأما أنا فسبحته حتي تعجبت الخلائق كلها، وسمعته يقول لي : «الحق أقول لك أنك تكون معي اليوم في الفردوس وكتب لي هذا الكتاب، ولم يكن أحد من المؤمنين بالقرب منه وقت آلامه وكنت أنا معه، عندما تركه الجميع وهربوا، وحتي أجناد السماء غطوا وجوههم برعدة، وكان جبرائيل مطاطئ الرأس، وميخائيل باهت ينظر إليه حين كان إكليل الشوك علي رأسه، وأجناد السموات كانوا قياماً برعدة والتلاميذ كانوا هاربين من الفزع ومريم أمه في حزن شديد، وقد اضطرب القضاة والرؤساء كاضطراب البحر، والنهار قد مال إلي الظلمة وأصحاب قيافا مسرعين إلي الفساد.

وفي وسط هذه الرعبة لم أسكت أنا ولكني مجدت الرب فنظر أمانتي وهو بأفضل الجزاء جزاني.

(١) كان الملاك هو الكاروبيم ولهيب سيف متقلب الذي وضعه الرب لحراسة

اللص يظهر تعجبه ويسأل :

وأنت أيها الملاك أين كنت وأصحابك في ذلك الوقت؟ أين كنت حين قامت تلك الأمة السوء علي ابن الله؟ لماذا كنتم سكوتاً عندما كانوا يضربونه بالسياط وعندما بصقوا في وجهه كيف لم تغضبوا عندما صلبوه وتباعدتم عنه، ولما قالوا له خلص نفسك كنتم مرعوبين؟!

سمعان الذي تقدم كان معه يتعشي وبأوجاعه كفر وحلف أنه ما يعرفه ويهوذا الذي كان أميناً علي صندوقه باعه وقبض ثمنه ويوحنا الذي اتكأ علي صدره وقت العشاء ما صبر معه في وقت أوجاعه[١] وأما أنا فعندما أشبع الألوف من الخبز القليل ما كنت معه في البرية ولا في وقت تحويله الماء خمراً طيباً شربت منه، ولا كنت معه عندما سكن اضطراب البحر ولا حين أحيا الميت بعد أربعة أيام رأيته... أنا لم أري شئ من هذه العجايب ولكني رأيته علي عود الصليب فآمنت به. ألم تري أيها الملاك أني لم أنظر إلي الابن حين ولد من والدته وحفظ بتوليتها، ولا حين كان ملفوفاً بالخرق في المذود والملائكة سبحته، ولا عندما أتي المجوس بقرابينهم إليه نظرته، ولم أكن معه حين أظهر مجده لتلاميذه فوق طور تابور، ولا حين صرخ الآب من العلاء هذا هو الابن الحبيب

طريق شجرة الحياة (تك ٣ : ٢٤).

له اسمعوا، ولا حين كان في بيت سمعان وغفر للخاطئة، ولا مضيت معه إلي بيت يايروس حيث أيقظ الجارية من الموت، ولا حين أعطي السمع للأصم الأخرس شاهدته، لكني رأيته وكنت معه حين كان علي الصليب معلقاً وحيث طعن في جنبه بالحربة وامتلأت الخشبة من ذلك الدم الزكي وأنا لم أسكت أيها الملاك لكني مجدت الابن وسألته أن يذكرني في ملكوته. حينئذ أعطاني سؤالي وأرسلني إلي هنا فخذ هذا الكتاب أيها الملاك وفكه واقرأه، وانظر وتأمل إلي خاتم الملك العظيم وخذ مفتاح النار وانظر إلي الثوب الذي نسجته المعمودية بالدم الزكي، فلما نظر الملاك إلي الكتاب المختوم بدم الرب سجد قدامه وقبله ثم حمل اللص بأجنحته الروحانية وقال له : أدخل أيها الترابي لأنك جئت بأمر الرب أدخل وتعزي في مكان الروحانيين إلي الفردوس والنور الذي تركه أبوك آدم أدخل واختلط مع أجناد السماء وتنقي من أوجاعك لأنك قد استحققت ذلك وإن كان أهل السماء والأرض قد تفكروا فيك لأنك كنت في الدنيا لصاً ولكنك في الآخرة ورثت ملكوت السموات ودار النعيم، أيها اللص الطوباوي أين الملك الذي أرسلك؟ وما الذي أخره عنا إن كان قد خلص آدم الذي خرج في طلبه فلماذا أبطأ عن المجئ؟ أجاب اللص قائلاً : أن الملك في طريقه إلي القبر ليخرج الذين فيها ويجدد لهم الثوب الذي أفسده الموت لقد دخل الملك إلي مدينة الموت ليفك المحبوسين وقد ذهب ليغطي

عري آدم ويلبسه ثوب الحياة من المعمودية ويأتي به معه من بيت الموت إلي مسكن الحياة.

ولما دخل الملك إلي هناك سبحوه علي خلاصه لأنهم كانوا ينتظرونه كما ينتظر الزرع المطر والبذرة المدفونة في الأرض حين تشرب الماء فحين ارتوا من ماء الحياة قاموا- ينبغي لكم أيها الملائكة أن تنزلوا إلي الجحيم وتظهرون هناك شدة جبروتكم وأنت يا جبرائيل إن ربك متكئ في الجحيم مثل إنسان وأنت أيها الرئيس ميخائيل القوي انزل بعساكرك لتسبيحه فإنه ما يجب أن يكون في الجحيم وحده لاقوه بالتماجيد والتهليل وإن كنتم حين كان علي الصليب تركتموه وحده، ففي الجحيم ما ينبغي أن تتخلوا عنه- حينئذ أجابه الملاك وقال له : اسكت أيها الضعيف لأن الموت لايقوي عليه إن لم يكن هو قد أراد وأبواب الجحيم لاتقدر عليه فهل تري الجبار مثل إنسان؟. هل يقوي الصقر علي صيد الأسد والباسق الضعيف كيف يقوي علي أخذ الحمام الطاير فالعظمة له وحده وليس من ملاك أحيا الموتي ولا من ملاك نبع الدم والماء للخلاص بل هو الابن الوحيد الذي صنع هذه الآيات، فصبر وتجسد وتحمل هذه الأوجاع بالجسد الذي لبسه من الطاهرة لخلاص آدم وذريته وخدع العدو الشيطان بتدبير لاهوته الذي هيج عليه حسد اليهود بني طاعته لأنه لو قاتل الشيطان بلاهوته ما كان في ذلك عجب لكنه أراد أن يغلبه بذلك الجسد

المغلوب منه، لك أقول أيها اللص الطوباوي أرجع إلي الملك وقل له أننا قد قبلنا كتابه وسجدنا لرسالته، حينئذ ترك الملاك الحربة النارية وفتح باب الفردوس وقال للص ادخل أيها المبارك إلي بلد الحياة وتعزي مع الملائكة لأن الملك قد جاء للخلاص بعدما أرضي أبيه بسفك دمه وهدم الحائط المتوسطة حينئذ أجاب اللص وقال للملاك أرجع إلي عملك وبلدك فإننا نحن قد رجعنا إلي بلدنا وميراثنا القديم لذلك ينبغي لنا أن نتمسك به ونتنعم لعل نير الحراسة جرح كتفك أو أنك تريد أن تكون حافظاً للفردوس- ارجع إلي عملك أيها الكاروب فإنه أولي بك من حفظك الفردوس- وأعلم أن الكلمة نفسه الذي قال لك احفظ طريق شجرة الحياة هو الذي كتب لي هذا الكتاب ومبارك هذا القدوس الذي ورّثنا ملكه السماوي له السبح والمجد والكرامة من الآن وإلي الأبد أمين.

فلنختتم ميمر أبينا القديس مار يعقوب السروجي الذي أنار عيون قلوبنا.

❖ ❖ ❖

ميمر أبينا المكرم القس بولس البوشى

(١) نلاحظ أن نفس اللص عندما خرجت من الجسد وارتفعت بالروح اكتسبت

على اللص اليمين

... الشمس أظلمت لأجل شمس البر، والأرض تزلزلت!! وقوات السماء اضطربت! والصخور تشققت. والقبور تفتحت، والأموات نهضت!!

أما رؤساء الكهنة فمكثوا في ضلالهم وأضلوا الشعب معهم.

ولما عاينوا اضطراب وجه السماء والأرض لم يرهبوا، حتي أن الصخور لانت وقلوبهم لم تلن...

أما اللص اليمين، الذي كان قاتلاً عابثاً، فإنه لما تأمل ذلك الذي حدث وحققه في نفسه قائلاً: إن هذا بحق هو المسيح الرب، ولأجله صار كل ما حدث، فلم يتهاون ولا التفت إلي ما فيه الرب من آلام وصلب، ولكنه صرخ بصوت عال قائلاً : «أذكرني يارب إذا جئت في ملكوتك».

تأملوا حسن يقينه وكيف بدأ أولا يرد اللوم علي نفسه عندما انتهر رفيقه أن يسكت...

ليخز الآن أحبار اليهود الذين يقرأون الناموس، وهم معلمون لقوم آخرين لأنهم إنما يقرأون الحبر المكتوب ويقبلون الورق فقط، أما الروح الذي في الكتاب فلم يفهموه.

ولأجل شرهم وخبثهم لم يكن فيهم روح الله، لأن روح الأنبياء تخضع للأنبياء كما هو مكتوب. إنهم شابهوا شجرة التين

بحق، تلك التي لم يوجد فيها الورق فقط الذي هو شبه ورق الناموس الذي كانوا يقرأونه، ولم يوجد فيهم الثمر الذي هو العمل بالناموس لأنه يؤول إلي المسيح، ولهذا أوجبت عليهم اللعنة وما عادوا يثمرون إلي الأبد. لذلك بطل منهم الكهنوت والنبوة والملك مع بقية العمل بالشريعة الأولي، لأن غايتها المسيح، وبددهم في كل الأمم فيسخزون ويرذلون لأنهم لما سمعوا أن لصاً لم يقرأ الكتب. لما نظر ما قد حدث بغتة، أظهر العمل بالشريعة من يقينه الصالح وهتف معلناً وقائلاً : «اذكرني يارب متي جئت في ملكوتك».

ولأن الرب كثير التحنن والرحمة لم يدعهم بغير إظهار عجائب وقت الصلبوت بل أنه أظهر عجائب شتي في السماء وعلي الأرض، لكي يجذب عقولهم، فلما تمادوا في شرهم صارت الحجة عليهم.

ثم أذن للص أن يتأمل ويبصر ذلك، ويصرخ في وسط الجمهور مبكتاً لهم ومظهراً عظم ربوبيته قائلاً : أذكرني يارب متي جئت في ملكوتك».

انظروا الآن إلي قوة هذه الكلمات!! سأل أن يذكره وهو يعرف أنه ليس بإنسان، بل وأقر واعترف أنه رب المجد!! وفي أي وقت يذكره؟ هل عند أتيانه في المجد في مجيئه الثاني...؟

إنه لما شـاهد هذه العلامـات بفـهم صحـيح زاده الرب ضيـاء حتـي حقـق لـه معرفتـه جيداً، «لأن من له سيعطي فيزداد» (مت ٢٥ : ٢٩) ولم يدرك مجيئه الأول فقط بل أنه أدرك العتيد أيضاً.

فلنخـتم عظة أبينا أنبا بولس البـوشي الذي أنار عيـون قلوبنا آمين.

وماذا بعد؟...

قال أحدهم : ويحكم أيهـا الأحباء، لقد ابتسمت وأنا أقـرأ حياة ديماس اللص لأني تذكـرت تلك الطلبـة التي تقدم بهـا التلميـذان يعقـوب ويوحنا إلي الرب عن طريق أمهما قائلة : نريد أن يجلس ابنـاي هـذان واحـد عن يمينك والآخـر عن يسارك فـي مجـدك (مت ٢٠ : ٢٠ ، ٢١).

فـإنه حينـما تمجـد يسـوع علي الصليب كـان عن يمينه وعن يساره لصان؟!

فهل لي ولك أن نجد توبة ونعمة أمام الله؟!

أخيراً يامن قبل إليه اعتراف اللص علي الصليب أقبلنا إليك أيها الصالح نحن المستوجبين حكم الموت من أجل خطايانا.

نقر بخطايانـا معه مـعترفين بألوهيـتك ونصرخ معـه جميـعاً قائلين أذكرنا يارب متي جئت في ملكوتك!!

(٣) ميمر قداسة البابا شنوده الثالث

من أقوال قداسة البابا شنوده الثالث

الحق أقول لك

إنك اليوم تكون معى فى الفردوس (لوق ٢٣ : ٤٣)

أول إنسان خاطبه الرب علي الصليب، كان هو هذا اللص... لم يبدأ حياته باراً، بل صحبته الخطية حتي إلي الصليب. وكان وهو مصلوب يعير الرب، مشتركاً في ذلك مع اللص الآخر(متي ٢٧ : ٤٣).. ثم تغير فجأة ودخل الإيمان إلي قلبه، فانقلب من معير إلي مدافع... ومن مستهزئ إلي رجل صلاة وإيمان.

كيف وصل إلي هذا الإيمان، وإلي هذا التجديد؟ كيف آمن بالرب، والرب في آلامه لا في مجده، في استهزاء الناس به وليس في سعيه إليهم طلباً للشفاء والبركة؟

لعل مغفرة الرب لصالبيه، أثرت في اللص القاسي القلب هذا التأثير العميق. وإذا بلطف الله يغلب قسوته.. أو لعله تأثر من وجه المسيح نفسه، من ملامحه، ومن نظرته، ومن حنان وعمق صوته. ولعل الرب نظر إليه، فأذاب قلبه... لسنا ندري...

أو لعل هذا اللص كان عنده استعداد داخلي للتوبة، كان أرضاً صالحة لم تجد بعد من يفلحها، وينقيها من أشواكها، ويبذر فيها البذار الصالحة، فتنبت نباتاً حسناً لقد استطاع هذا اللص أن

يصل إلي المسيح مع أصحاب الساعة الحادية عشرة، أو في الساعة الثانية عشرة. فصلي صلاة، واستجيبت بأسرع ما تكون الاستجابة... كثيرون كانت لهم صلوات طويلة، بابتهالات وطلبات وتضرعات وعرق ودموع... أما هذا اللص فبعبارة واحدة، قصيرة، مركزة عميقة، استطاع أن يحصل علي كل شئ... وأصبحت صلاته هذه مصدر تأملات لكثيرين، ترددها الكنيسة كلها معه، وقد تعلمتها من هذا اللص العجيب..

هذا اللص الوحيد الذي أجابه المسيح بسرعة، بينما غيره كثيرون لم يرد عليهم الرب بكلمة واحدة...

تصوروا أن السيد المسيح لم يرد علي كثيرين طول مدة المحاكمة والتعذيب والصلب... «لم يفتح فاه، كشاة تساق إلي الذبح. وكنعجة صامتة أمام جازيها، فلم يفتح فاه» (أش ٥٣ : ٧)... لم يرد علي قيافا رئيس الكهنة إلا بعد أن استحلفه بالله الحي (متي ٢٦ : ٦٣ ، ٦٤). وبيلاطس الوالي الذي حاكمه كان متعجباً جداً من صمته (متي ٢٨ : ١٤). كثيرون استهزأوا به، فلم يرد عليهم. شتموه، فلم يرد عليهم. تحدوه وقالوا له «إن كنت ابن الله أنزل من علي الصليب» (متي ٢٧ : ٤٠) فلم يرد عليهم كذلك. اللص اليسار نفسه المصلوب إلي جواره كان يعيره ويتحداه قائلاً «إن كنت أنت المسيح، فخلص نفسك وإيانا» (لو ٢٣ : ٣٩). فلم يرد علي هذا أيضاً.

أما هذا اللص اليمين فما أن قال له «أذكرني يارب متي جئت

في ملكوتك» حتي تلقي الجواب بسرعة «الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣ : ٤٢ – ٤٣).

ما أعجب صحبة الرب لهذا اللص كان زميلاً علي الصليب، وزميلاً صالحاً!! وبلغت الصحبة مداها، أن الرب لم يكتف بصحبته له علي الصليب، وإنما قرر أن تستمر الصحبة أيضاً في الفردوس! كان يستطيع أن يعده قائلاً : «اليوم تكون في الفردوس». ولكنه قال له «تكون معي». يدخل في معيته، وحيثما يكون الرب معه أيضاً...ما أسعده لصاً!... لم يأنف الرب من هذا اللص، ولم يشمئز، بل علي العكس وجد فيه قلباً مملوءاً بالفضائل. فبادله الحديث علي خشبة الصليب، وفرح أن يسعد قلب هذا اللص بوعد يطمئنه علي مصيره قبل أن يلقي الموت...

ستكون معي في الفردوس، لأن قلبك صار معي علي الأرض. لأنك سلمتني قلبك علي الصليب، وسلمتني مصيرك ولأنك تألمت معي، فلذلك سوف تتمجد معي أيضاً... لقد صلبت معي، وتألمت معي... وستحيا معي أيضاً...

ما أعجب هذا اللقاء... علي الصليب...

كثيرون التقوا مع الرب في الكنائس والمعابد، وآخرون التقوا به في مخادعهم المغلقة عليهم ساعة الصلاة... أما أن يكون مكان اللقاء علي الصليب، فهذا عجيب حقاً. هل كان هذا اللص يفكر إنه

إذا تاب في يوم مـا، والتـقي بالرب يكون لقـاؤه به في مـثل هذا الموضـع...!!

حـــقـاً إن «ملـكوت الله لايأتي بمـراقـبـــة» (لو ٧١ : ٢٠)... لانســتطيع أن نعـرف متي تعـمل النعـمـة في الإنسان، وكـيف، ومتي... حـقاً أن الروح يهب حـيث يشاء (يو ٣ : ٨)... لقـد عاش هذا اللص حيـاته كلها في الخطية، ولصقت به الخطيـة حتي علي الصليب عندمـا كـان يعيـر الرب مع زميـله... فهل مـعني هذا أن النعمـة كانت قـد حجبت وجـههـا عنه، أو أن الرب قد نســيه إلي الانقـضاء...؟! كـلا، فـمراحـم الرب كانت تنـتظر الوقت المناسب لتعمل فـيه... ثم جاء زمان افتقـاده ونال الخلاص، وهو علي بعد أشبار من الموت...

نحن لانعـرف من هم المختـارون، من كـان يظن أن هذا اللص سيصـــير واحداً منهم!! من كان يظن أنه في ساعـة واحدة سينال ما ناله غيره بجهـاد عشرات السنوات؟! أننا نحكم حسب الظاهر، ونحـتـقـر البـعض، ونرثي للبـعض، وربمـا يكونون أفـضل منا بمراحل... ومع ذلـك نقـول في صـــدق أن هذا اللص، قـــد دخل الفردوس عن جدارة واستحقاق.

لقد كان عجيباً، وعجيباً جداً، في كل ما فعله...

اعترف بالمسيح رباً، فقال له «اذكرني يارب».

واعترف به ملكاً، فقال له «متي جئت في ملكوتك».

واعترف به مخلصاً، قادراً أن ينقله إلي الفردوس.

وعلي الصليب اعترف هذا اللص بخطاياه الشخصية، واعترف باستحقاقه للموت. ووبخ زميله اللص الآخر قائلاً له «أما نحن فبعدل (جوزينا)، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا».

وانتهر زميله بسبب تجديفه علي السيد المسيح قائلاً له «أو لاتخاف الله إذا أنت تحت هذا الحكم بعينه... وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله» (لو ٢٣ : ٤٠ – ٤١). وهكذا اعترف ببر المسيح وخلوه من الخطية، وبالتالي لايكون قد صلب بسبب خطية له، وبالإستنتاج يكون صلبه عن خطية غيره...

عجيب هذا حقاً، أن يكون الوحيد الذي دافع عن السيد المسيح وسط تلك الآلاف هو اللص اليمين!! لم يدافع عنه واحد من الإثني عشر. لم يدافع عنه واحد من التلاميذ السبعين. لم يدافع عنه واحد من الذين شفاهم أو أقام موتاهم أو أخرج منهم الشياطين... لم يدافع عنه أحد... اجتاز المعصرة وحده. والوحيد الذي دافع عنه، ولم يقبل كلمة إساءة توجه إليه، هو اللص اليمين!! من كان يظن في جميع التلاميذ وفي جميع المؤمنين، أن الوحيد الذي يدافع عنه هو اللص!! حقاً– كما قال الرب– «انظروا، لاتحتقروا أحد هؤلاء الصغار» (متي ١٨ : ١٠).

فلا تظن في نفسك يا أخي أنك شئ، أو أنك أفضل من أمثال هؤلاء... لاتظن في نفسك أنك كأحد الرسل أو أحد الأحباء أو المريدين أو القريبين من الرب... فقد سكت كل هؤلاء، لم يدافع واحد منهم عن المسيح، والذي دافع عنه هو لص لم يكن يتوقعه أحد، ولم يكن يسمع به أحد...

والجميل في هذا اللص- غير دفاعه عن المسيح- أنه كان مشغولاً بأبديته. كان مهتماً بإعداد العدة لمصيره الأبدي. هو أيضاً لم يكن يفكر في آلامه الجسدية، وإنما في مصيره بعد الموت. لذلك صرخ في استرحام وفي استغفار «أذكرني يارب»... أذكرني في مراحمك، وليس في خطاياي. أو كما قال داود النبي «أذكر يارب مراحمك ورأفاتك فإنها ثابتة منذ الأزل. خطايا شبابي وجهالاتى لاتذكر. كرحمتك أذكرني أنت، من أجل جودك يارب» (مز ٢٥ : ٦ ، ٧).

»أذكرني» ولاتدخلني في زمرة أولئك الذين قلت لهم «إني لم أعرفكم قط»... أذكر هذا الجوار... إنها ساعات خالدة في حياتي، تلك التي قضيتها إلي جوارك علي الصليب. إنها أسعد ساعات حياتي، أتمتع بشركة آلامك، وأفتخر بأني «مع المسيح صلبت» (غل ٢ : ٢٠). فمن أجل هذا الجوار أذكرني. لقد كان صلبي إلي جوارك عاراً لك، ولكنه فخر أبدي لي. تكفيني هذه الساعات السعيدة معك، ولكني أريد أن أعتبرها كمجرد عربون...

إن عبارة «أذكرني» التي أقولها لك، تعني وجود علاقة سابقة. تعني أنني معروف عندك، ومكتوب في سفرك، ومنقوش علي كفك.

لقد أحصيت مع أثمة (اش ٥٣ : ١٢)، وصلبت مع الخطاة. وإن حسب هذا عاراً لك، لكنه نعمة لي وبركة... ما ألذ وجودي إلي جوارك، إنه ينسيني كل آلامي فلا أشعر بها... بل أشعر بروحك تتخلل كياني كله، وتطهرني وتقدسني، وتجعلني إنساناً آخر... إنك كشعاع الشمس الذي قد يرقد إلي جوار أي جسم قذر، فلا يتسخ منه، بل يطهره.. أنا معتز بصحبتك، ليتني عرفتك من قبل... فاذكرني.

ليت كل واحد فينا يصيح مع اللص قائلاً «أذكرني يارب» أذكر أن لك ابنا في كورة بعيدة، وعبداً ضالاً خارج الحظيرة. أذكرني في ضعفي، وفي ذلي، وفي سبيي، أذكرني في سقوطي لكي تقيمني وترد نفسي إليك. أذكرني لأني واحد من الذين «ليس لهم أحد يذكرهم» ليس لي إنسان يلقيني في البركة فأبرأ (يو ٥ : ٧).

إن قصة اللص اليمين هذه تعطينا فكرة أن ساعة الموت تختلف من إنسان إلي آخر. لانقل أنه ذكر الرب وتاب إذ كان لابد أن يفعل هكذا في ساعاته الأخيرة. كلا، فاللص الآخر كان مثله في ساعاته الأخيرة ومع ذلك يقول الكتاب أنه كان يجدف علي المسيح، وما كان يخاف الله، وما كان يهتم بمصيره الأبدي. وإنما

كـان كل همـه أن يتـخلص من الـصليب (لو ٢٣ : ٣٩)، ليـعـود فيـتمـتع بهذا العـالم... وهكذا استـحق الانتهار من زمـيله. وفي سـاعة الموت : بدلاً من أن يتـوب عن خطاياه، كـان يرتكب خطايا جديدة، بقسـوة قلب!!... كان هذا اللص اليسار قـريباً من المسيح بالجسـد، كان إلي جـواره، أما قلبه فكـان مبتـعداً عنه بعـيداً بما لايقـاس، حتي في سـاعة الموت!! إن سـاعة الموت لم تسـتطع أن تذكره بالتوبة، ولا أن تدفعه إلي الاستعداد... إطلاقاً...

إنه لم يتأثـر بمغفرة المسـيح لصاليـبه : ولم تملكه الغـيرة من أجل الوعد الذي نـاله زميله بدخول الفـردوس، ولم يؤمن إذ رأي السمـاء، والأرض ماجت مـرتعدة، والصخـور تشققـت، والظلمة سادت علي الكون... بل كـان منشغلاً عن أبديته، حـتي في ساعة الموت. مايزال يحب العالم ومـعاودة المعيشة فـيه... لايريد المسيح ولا صـحبـتـه، وإنما يحب أن يستـغله كـوسيـلة للنزول من علي الصليب.

إنه درس قاس لكل من يؤجل التوبة، وفي ظنه أنه سيتوب في أواخر أيامه، التي لايعرف لها موعداً!! كثير من الناس يكونون في ساعـة الموت مثل اللص الذي علي الشمـال، يجدفون ويتـذمرون ويشتـهون العالم الحـاضر!! من كـان عبداً لعـادة من الصعب أن يبطلها بالتأجيل، حتي لو دقت يداه وقـدماه بالمسامير، وكان بينه وبين الموت دقائق!! إذا لم يتعاون الإنسان مع عمل النعمة في قلبه

ساعة الموت، فمن الممكن أن يخطئ في تلك الساعة أيضاً.

كثيرون في ساعة الموت يبكون بدموع... ليس بكاءاً علي خطاياهم، وإنما لأن الموت سيحرمهم من ملاذ الحياة!! يبكون لأن الموت سيفصلهم عن أحبائهم وعن شهواتهم... مايزال العالم حلواً في قلوبهم، حتي في ساعة الموت... لاتظنوا أن الموت- بالضرورة- يجلب للإنسان خشوعاً!.. ليس لكل الناس. إن اللص اليمين استفاد من ساعة الموت، واللص اليسار لم يستفد... وبينما كان اللص اليسار يجدف ويعير، كان زميله يصلي، ويتضرع قائلاً «أذكرني يارب متي جئت في ملكوتك».

والرب لم يتخل عن هذا اللص التائب. ولم يتمهل عليه وإنما كانت استجابة صلاته أسرع مما كان يتوقع. إن اللص في آخر ساعاته لم يفقد رجاءه في مراحم الرب. والرب أيضاً قوي رجاءه وأكده تأكيداً بقوله له : «الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي..». إنك الآن معي، وبعد قليل ستكون معي. ولكن شتان بين الحالين... كما كنت معي في الألم ستكون معي «في الفردوس». أنت الآن تتعذب، وهناك تتعزي...

وبقول الرب «في الفردوس» إنما صحح للص خطأ وقع فيه. وصححه له بنفس طريقة المسيح الهادئة اللطيفة... لقد قال اللص «أذكرني يارب متي جئت في ملكوتك» وحسناً آمن أن للمسيح ملكوتاً روحياً في السموات، وأن مملكته ليست من هذا العالم كما

يطلب العالميون... ولكن ملكوت السموات لا يدخله الناس إلا بعد القيامة العامة، أما بعد الموت مباشرة، فيذهبون إلي مكان الانتظار. ومكان انتظار الأبرار هو الفردوس. وهكذا لم يقل السيد للص «اليوم تكون معي في ملكوتي» وإنما «في الفردوس». وبهذا باشر الرب وظيفته كمعلم صالح، حتي علي الصليب، بنفس طريقته الوديعة في التعليم، شارحاً للمخطئ خطأه دون أن يقول له أنك أخطأت.

ستكون معي في الفردوس، كعربون.. وستأتي معي علي السحاب في مجيئي الثاني. وستقف علي يميني في يوم الدينونة، كما أنت الآن عن يميني علي الصليب، رمزاً للأبرار... وستملك أيضاً معي في ملكوتي. وتكون معي في الأبدية التي لاتنتهي.. ها أنا معك كل الأيام وإلي انقضاء الدهر...

لعل هذا الوعد قد جعل اللص ينتظر الموت بفرح، ليكون مع المسيح، فذاك أفضل جداً... هنا ما ألذ الموت! «أين شوكتك ياموت»!! إن الموت مرعب للأشرر لكنه مفرح للذين يرقدون علي رجاء، للذين نالوا المواعيد، ونظروا الأكاليل، واطمأنوا إلي مصيرهم بعد الموت، ورن في آذانهم قول المسيح «اليوم تكون معي في الفردوس».

وبقوله «تكون معي في الفردوس»، لم يعلن للص غفران خطيئته فحسب، وإنما أعلن أيضاً فتح باب الفردوس لأول مرة

بعد خطيئـة آدم. هذا الفردوس الذي كان مغلقـاً منذ ذلك الزمان، لايستـحق أحد دخولـه بسبب الخطية. وهذه العـبارة التي قـالها الرب للص، نتذكرها كلما نودع نفـساً رحلت عن عالمنا. فنقول في صلاة الجـناز «افتح لهـا يارب باب الفردوس كـما فـتحتـه لذلك اللص».

إن المغفرة التي نالها اللص هي عمل إلهي، وفتح باب الفردوس هو عمل إلهي أيضـاً. عملان قام بهـما الرب علي الصليب يثبـتان لاهوته. إنه لم يصل لأجل اللص للمغفـرة ولدخول الفردوس، إنما قال له بسلطان «اليـوم تكون معي....«وكأنه بهذا قـد باشر عمله كديان عـادل من حقـه أن يصدر حكمـاً في أبدية إنسان، فـحكم للص بدخول الفردوس في نفس اليوم. ومَنْ منْ البشر له سلطان أن يفعل هـذا؟! إنه سلطان إلهي لايقدر عليـه إنسان... كـذلك فتح الفردوس: أمـر لم يقو عليه أحـد من قبل، لا رئيس آباء ولا نبـياً. من اسـتطاع أن يفـتح باب الفـردوس المغلق، أو من اسـتطاع أن يدخله؟! لا أحـد. كلهم انتظروا حتي أتي المخلص فـيفـتح لهم. إنه عمـل إلهي... وهو أيضاً اعـلان عن كفـاية هذا الدم المسفـوك عنا لفتح باب الفردوس...

حقاً إنه صاحب السلطان «يفـتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولاأحد يفتح» (رؤ ٣ : ٧)، (اش ٢٢ : ٢٢). هو الذي بيده مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨). بل بيده مفاتيح السماء والأرض، وبسلطانه

يهبها لتلاميذه، وكلائه علي الأرض. هو الذي فتح للعذاري الحكيمات. وإليه تضرعت الجاهلات قائلات «يا ربنا يا ربنا، افتح لنا» (متي ٢٥ : ١١). ولكنه لايفتح فردوسه، إلا للذين فتحوا له قلوبهم، كاللص اليمين الذي استحق أن يقول له «اليوم تكون معي في الفردوس».

وعبارة «اليوم» تكون معي، دليل أكيد علي عدم وجود مطهر كما يظن البعض. فاللص دخل الفردوس في نفس يوم وفاته، دون أن يقضي في هذا المسمي بالمطهر ساعة واحدة!!... كما أن عبارة (اليوم) تكون معي، تنفي الفكرة التي بها يظن البعض أن روح الميت تظل باقية تتردد علي أماكن سكناها حتي اليوم الثالث إلي أن تصلي الكنيسة صلاة في اليوم الثالث لصرف تلك الروح!!... هل بقيت روح اللص اليمين إلي اليوم الثالث» أم في نفس اليوم كانت في الفردوس؟!...

وبعبارة الفردوس شرح الرب مصير الإنسان بعد الموت، وكيف أن الفردوس هو مكان الانتظار للأبرار، وكيف أنهم سيكونون هناك مع المسيح يتمتعون به.

اليوم تكون (معي). إنها متعة جميلة أن نكون مع الرب. إن الوجود مع الرب هو أجمل من الفردوس أو هو أجمل ما في الفردوس أو هو الفردوس ذاته، بل هو النعيم الحقيقي، أن نوجد معه. هذا هو ما قاله الرب، وما وعد به... آتي وآخذكم إلى، حتي

حـيث أكون أنا تـكونون أنتم أيضاً» (يـو ١٤ : ٣). ما أجـمل هذا الوعد. إنه أملنا الذي نسعي إليه، ونتشـهاه...

إن الحياة الروحية كلها هي «معية مع الرب»...

بهذا الوعد، أفـرح الرب قلب اللص، ولم تشغله آلام الصلب عن التحـدث مع هذا الإنســان وطمأنتــه وإسعاده... نســي الرب آلامه المبـرحة، نســي الشوك والمســامـير وأثار الجلد وجـســده المنهك، وشــغل وقتــه بالإصــغاء إلي هذا الـلص والتحـدث مـعه وطمــأن قلبــه... حقاً إن «المحبة لاتطلب مــا لنفسها» (١ كو ١٣ : ٥)، بل ما هو للآخرين (١ كـو ١٠ : ٢٤) ما أكـثر ما يأتي إليـنا إنسان في وقت تعبنا أو مشغوليتنا، فتتبرم به، ونتضايق، ونقول له «طيب يا أخي بعدين، أنا مش فاضي لك دلوقتي، اســتني شوية». أما السيد المسيح فــحتي علي الصليب، لم يقل مثل هذه العـبارات. وإنما علي الرغم من آلامه أعطي اللص الاهتمام الذي يحتــاج إليه، واستجاب طلبتــه، وأسعـد قلبه، وأ رانا أنه حــتي علي الصليب يمكن القـيام بخدمة للآخرين....

وفي الاهتمــام باللص يظهر لنا الرب أهمية العـمل الفردي إلي جوار العـمل الجماعي.. فبــالإضافة إلي عمل الفـداء العظيم المقدم للعالم أجمع، لكل مــن يؤمن به، وبالإضافة إلي غفرانه لصــالبيه، كـان له أيضــاً عمل فـردي مع اللص. لأن الفـرد- عند المســيح- لايتوه وسط الجماعة... ما تزال له قيمته، وله اهتمامه...

وهكذا كان السيد المسيح في كل كرازته عل الأرض يعمل في الميدانيين معاً : العمل الجماعي، والعمل الفردي: العمل الجماعي وسط الجماهير الكثيرة، وسط الجموع المزدحمة حواليه في عظته علي الجبل، ووسط الخمسة الآلاف الذين أشبعهم بخمس خبزات وسمكتين... وله العمل الفردي وسط الاثني عشر، أو وسط ثلاثة منهم هم بطرس ويعقوب ويوحنا، أو مع نيقوديموس، أو في بيت مريم ومرثا، أو مع المرأة السامرية عند البئر..

إن الله لاينسي الفرد وسط الجماعة. لايضيع فرد في زحمة الناس. لايضيع الخروف الضال في زحمة الاهتمام بالتسعة والتسعين الباقين... لايضيع اللص اليمين وسط الاهتمام بخلاص العالم كله.

❖ ❖ ❖